

سريلاتا باتليوالا

ظاهر ومحبوب وخفي

فهم هياكل
السلطة الاجتماعية

ترجمة
مجدي النعيم

ظاهر ومحجوب وخفي
تأليف، سريلا تا باتليوالا
ترجمة، مجدي النعيم
الطبعة الأولى: 2023
رقم الإيداع: 2023/27434
الترقيم الدولي: 9-42-6950-977-978
غلاف، زبير فارس



9 ش 256 المعادي- القاهرة
ت: 01095072784
info@ellesegypte.com
جميع الحقوق محفوظة
2023

ظَاهِرٌ وَمَحْجُوبٌ وَخَفِيٌّ
فَهُمْ هَيَاكِلُ السُّلْطَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ

سريлата باتليوالا

ترجمة

مجدي النعيم

2023



هَذِهِ هِيَ التَّرْجَمَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْكَامِلَةُ لِكِتَابِ

Batliwala, Srilatha (2019). All about Power: Understanding Social
Power and Power Structures (Primer 1 in CREA's Feminist Leadership
for Social Transformation Series). CREA. India

عندما نُحاولُ تغييرَ حيواتِ الناسِ

أو التصدّي لعدمِ المُساواةِ

فإنَّنا، في الواقعِ

نُحاولُ تغييرَ مُعادلاتِ السُّلطةِ

الفهرس

9	مقدمة الطبعة العربية
21	فهم السُّلطة
36	أين تشتغل السُّلطة
43	من أين تأتي السُّلطة؟
60	كيف يتم التعبير عن السُّلطة؟
74	كيف تعمل السُّلطة؟

مقدمة الطبعة العربية

عندما اقترحت على زميلتي وصديقتي «فهيمة هاشم» ترجمة هذا الكتاب، رحبت بذلك على الفور؛ فالكتاب بمعنى ما هو مواصلة لجهد سابق لي ولها في الاشتباك مع فكر النسويات الهنديات، من خلال الترجمة بالنسبة لي، ومن خلال البرمجة والانخراط المباشر بالنسبة لفهيمة ولـ «ساملة»، المنظمة التي أسستها وقادتها لسنوات. وجهدي السابق نفسه، الذي ظهر في أكثر من كتاب، كان بتحريض من «فهيمة»، قبل الإغلاق المتعسف لمركز "ساملة لمصادر ودراسات المرأة" على يد نظام الإنقاذ. وكما أشرت في تقديمي لكتاب "التعويل على الحركات النسوية: لماذا يحدث بناء الحركات النسوية أعمق التغييرات؟" لنفس المؤلفة، فقيمة "جهد ساملة إنما يكمن في أنه فتح للحركة النسوية السودانية، وحركة المقاومة عموماً، ورصيفاتها الأخرى في البلدان العربية، كوةً على فكر وتجارب الحركة النسوية الهندية، وإلى حد ما الجنوب آسيوية. هذا التلاقح يثري التجربة النسوية، ليس عبر اجتزار منجز النسوية الغربية، وإنما عبر التمعن في التجربة المحلية، وتنمية منظور مقارن، يفتقده كثيرٌ من نظرنّا في مآزق مجتمَعنا ودولتنا بعد الاستعمارية، وبناء أدوات فعّالة لتفكيك

هياكل السُّلطة كما هي قائمة بالفعل في مجتمعاتنا". سبب آخر شجّعني على إنجاز هذه الترجمة؛ هو أن مناقشات الكتاب، كما سيدرك القارئ، تشتبك مع مفهوم السُّلطة، ووجود السُّلطة المراءوغ في مختلف البنيات الاجتماعيّة، ويستجلي وجوه السُّلطة وتعبيراتها ومصادرها وكيفية اشتغالها في الواقع الملموس. وهذه أسئلة تتصل بالنشاط اليومي للمناضلات/ين من أجل التغيير، حيث لا يسعون/ين إلى فهم السُّلطة فحسب، بل إلى تغيير معادلاتها وتحويلها لتعمل لصالح المضطَّهدين عبر تضحيات يومية.

ينطلق الكتاب من فهم أساسي؛ هو أن النضالات الساعية إلى التغيير الاجتماعي، وتحقيق المساواة إنما هي محاولات لتغيير معادلات السُّلطة. وتقول المؤلفة بشكل مباشر إن غرضها من تأليف هذا الكتاب هو "إجلاء الالتباس ومساعدتنا على الوصول إلى فهم مشترك للسُّلطة، بحيث يمكننا جميعاً نحن الملتزمون/ات بالعدالة الاجتماعيّة والجنسانية، بناء إستراتيجياتنا انطلاقاً من تعريف وتحليل مشتركين وأكثر شمولاً للسُّلطة كما تعمل فعلاً في المُجتمَع، بغض النظر عن قضايانا المحدّدة أو السياقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسية

والثقافية". ويقوم مجمل الكتاب على الإجابة على خمسة أسئلة أساسية، هي: كيف نعرف السلطة، وكيف ندرّكها في سياق المجتمعات والعلاقات الإنسانية؟ أين تقع السلطة، أي ما المواقع الاجتماعية التي تعمل فيها السلطة من عائلة أو مجتمع، أو قطاع وفئة مجتمعية (العمال والعاملات، المرأة الريفية، أو في قطاعات الصحة أو التعليم أو الزراعة). كيف تبدو السلطة، ما وجوهها أو أشكالها المختلفة؟ ما مصادر السلطة؟ وأخيراً كيف تعمل السلطة في المجتمع، وكيف نحدد مقدار السلطة التي يملكها مختلف الأفراد والمجموعات، وكيف تحدد السلطة مكاننا في التراتبية الهرمية الاجتماعية أو الاقتصادية إلخ؟ لكن لماذا نريد فهم السلطة؟ توضّح المؤلفة أن "دعاة التغيير الاجتماعي مهمومون بمواجهة الظلم وعدم المساواة والتهميش والإقصاء والتمييز والوصم والعنف". لكن ما لا يجد الاعتراف الكافي أنّ السلطة تقع في صلب كل هذه المشكلات، فالظلم وعدم المساواة من كلّ نوع هما في الواقع تعبير عن السلطة، أو أحد مظهرات هياكلها. ومن تحاول تغيير حياتها/ه وحياة الناس، فإنها/ه في الواقع تحاول تغيير معادلات السلطة. تقول المؤلفة إنّ التحليل الذي يقول إن الموارد الاقتصادية هي سبب من أسباب

تَهميش النساء، على سبيل المثال، ينتهي إلى إنشاء برامج لتوليد الدخل أو لتقديم القروض الصغيرة للنساء. نعم، ستكسب النساء بعض المال، لكن أزواجهن سيتحكمون في دخولهن. إذن ثمة حاجة لتغيير الإستراتيجية من معالجة الأعراض إلى التصديّ للأسباب الجذرية، أي تغيير معادلات السُّلطة، ويقتضي ذلك فهمًا أعمق وأوضحٍ للسُّلطة.

يؤكد الكتاب أن فهم السُّلطة بجميع أبعادها يعدّ أمرًا مهمًّا بشكلٍ خاصٍ لناشطات ونشطاء حقوق المرأة والمساواة بين الجنسين؛ لأن الأبعاد غير المرئية والأيدولوجية للسُّلطة مهمة بقدر أهمية الحصول على الموارد لاستمرار التمييز بين الجنسين. وهذا الفهم يساعدنا في العثور على أفضل الطرق للتأثير على الطريقة التي تعمل بها السُّلطة، أو تغييرها في تجلّيها بين المُجتمعات أو المجالات أو اشتغالها في القضايا المُحدّدة التي نعمل عليها. فنتمكّن، بالتالي، من معرفة كيفية تغيير ديناميكياتها في سياق أو موقع معين، أو كيفية تعزيز وحماية حقوق مجموعة معينة من الأشخاص.

يُقدِّم الكتاب تعريفًا بسيطًا ومباشرًا وعمليًا لِلسُّلْطَة "هي قدرة مُختلف الأفراد أو المجموعات على تحديد من يحوز ماذا، من يفعل ماذا، ومن يُقرّر/تُقرّر بشأن ماذا، ومن يضع/تضع جدول الأعمال". وفي هذه الجوانب الأربعة تذهب المؤلفة أبعد من السيطرة على الموارد الماديّة والفضاء العام لتفحص تأثير هياكل السُّلْطَة على توزيع الفرص والحقوق والامتيازات في المُجْتَمَع؛ وتوزيع العمل ليس في العمل المُنتَج وحده، وإنما في إعادة الإنتاج من عمل منزلي ورعاية أطفال وطهي وبحث عن الماء وجمع للوقود؛ والسُّلْطَة في حياة الفرد والأسرة، على المستوى المحلي مُتمثِّلًا في القرية أو الحي أو الجماعة أو الطائفة، وكذلك على المستوى الوطني؛ واشتغال سلطة وضع جدول أعمال المُجْتَمَع وتحديد ما هو مُهم وما هو غير ذلك في الفضاءات الخاصّة مثل الأسرة، وفي الفضاءات العامّة مثل الهيئات الدوليّة المسؤولة عن السياسات، والحكومات الوطنية، والإعلام. ببساطة تشغل السُّلْطَة الاجتماعيّة في كلّ الفضاءات التي يمارس فيها الناس حياتهم.

يدعو الكتاب المناضلات/ين من أجل التغيير إلى فهم السُّلطة في اشتغالها بين الأفراد (الأصدقاء، زملاء العمل، الأزواج، وأفراد الأسرة) وبين المجموعات الاجتماعيَّة (مختلف المجموعات القائمة على هويات النوع، والإثنيات، والطوائف، والطبقات، والمعتقدات الدينية، والقدرات/الإعاقات، والحضر/الريف، والمهن) وبين التشكيلات السياسية والاقتصاديَّة (بين أقاليم البلد الواحد، بين البلدان، بين البلدان "المتقدمة" و"النامية"، بين "الشمال" و"الجنوب"، وبين الكتل الدوليَّة). والسُّلطة تقع أيضاً داخل ذواتنا. وهذا ما يفسّر لماذا ينتفض الناس ضد الظلم والقمع حتى عندما تواجههن/م قوى أقوى منهن/م بكثير. هذه سُلطة يستمدّها الناس من داخل أنفسهم/م.

رغم أن السُّلطة الاجتماعيَّة تنشأ في البداية من الوصول إلى الموارد والتحكم فيها. ويكتسب بعض الأفراد أو الجماعات، عبر الزمن ولأسباب مُختلفة، سيطرةً أكبر على الموارد فيصبحون أكثر قوة. لكن هناك في الواقع أربعة أنواع على الأقل من الموارد التي تخلق السُّلطة الاجتماعيَّة في عالمنا اليوم. هي الموارد الماديَّة أو الاقتصاديَّة من أرض وأصول ثابتة ومال؛ والموارد البشريَّة من سيطرة على أجساد الناس

وعملهن/م، وقدرة على التحكم في العمل الذي يقوم به الفرد. ويمكن أن تستند هذه السُّلطة على النوع، والطبقة، والطائفة، والعرق، والإثنية، والجنسية، إلخ. فبعض المُجتمعات تسند قيمة أعلى للعمل الذهني أو الأعمال التجارية مقارنةً، على سبيل المثال، بالعمل المُتصل بالتنظيف أو المُخلفات والنِّفايات البشريّة (الحلّاقين، الغسّالين، الكنّاسين، عمّال الجلود). كذلك يُمكن أن نلحظ أثر المعرفة؛ حيث يُمكن للمتعلّمين/ات أو ذوي/ذوات المهارات المهنية أو التقنية أن يصبحوا أقوىاء يتمتّعون ببعض السُّلطة، حتى لو لم ينحدروا من خلفيات اقتصاديّة ثريّة. وكذلك الفقير المُلمّ بالقراءة والكتابة مقارنةً بغير المُلمّين بهما؛ وأخيراً الموارد غير الملموسة مثل المعارف، وشبكات الدعم الاجتماعي، والانتماء لحركات اجتماعيّة أو نقابات، وغيرها من الموارد "القائمة على العلاقات".

يُميّز الكتابُ بين ثلاثة أوجهٍ للسُّلطة: ظاهر، ومُحجوب، وخفي. ويتقصّى مصدرها واشتغالها في المجالين العام والخاص. وهو تميّز مُثير يستطيع القارئ/ة أن يتعرّف/تتعرّف على كثيرٍ من أوجه تجربته/ها الحيّاتيّة اليوميّة. كما يميّز بين خمسة تعبيرات عن

السُّلْطَة: السُّلْطَة على الغير؛ السُّلْطَة/القدرة على؛ السُّلْطَة داخل الذات؛ السُّلْطَة مع الآخرين؛ السُّلْطَة تحت وطأة الأذى under power، والأخيرة لم أجد في العربية مُقابلاً مُتداولاً لها، لكن اقترحت لها هذه الترجمة وشرحت ذلك في هامش في الموقع الذي وردت فيه.

لكن كيف نُغيّر هياكل السُّلْطَة؟ ما دور الحركات النسوية ولماذا تشكّل السبيل الأكثر فاعلية لتغيير هياكل السُّلْطَة؟ وكيف نبني هذه الحركات؟ هذه أسئلة لما لا بد منها لاستكمال مهمّة الكتاب التغييرية. لذلك ناقشتها المؤلفة في كتاب آخر ترجمناه تحت عنوان "التعويل على الحركات النسوية". وهو كتاب ينطلق من نقد ضمني للممارسة السائدة في عمل منظمات المُجْتَمَع المدني في التصدي للمظالم الاجتماعية، أي تنفيذ "المشروعات" وتقديم الخدمات. ويطرح البديل المُتمثّل في حشد وبناء الصّوت الجماعي وسلطة المتأثرين/ات بالظلم، أي بناء الحركات الاجتماعية.

كالعادة، حرصت على تثبيت عنوان الكتاب في لغته الأصلية، وبيانات نشره، لمن ترغب من القارئات/القراء في الاطلاع عليه في لغته الأصلية. وكما فعلت في كتاب "التعويل على الحركات النسوية"،

المُشار إليه أعلاه، لم أترجم العنوان ترجمةً حرفيةً. اختياري للعنوان "الإحاطة بالسلطة"¹ يُلخّص منظور الكاتبة الناقد للممارسة السائدة في مواجهة الظلم الذي أشرنا له في موقع آخر من هذا التقديم، المنظور الذي يُعلي من شأن تنظيم النساء وإمساكنهن بزمّام قضاياهن ويولي السلطة نظراً وممارسةً موقعاً مركزياً، ويشيح عن فكرة قبولهن لهياكل السلطة القائمة والركون مقابل تلقينهن الخدمات من أشخاص يناضلون/ون نيابةً عنهن. والإحاطة بالسلطة مهمّة؛ لأنّ حيازة السلطة قضية مركزية لإحداث التغيير. والتصرف في العنوان مما يجيزه عرف المترجمين والناشرين.

نقطة أخيرة، أود أن أشكر العديد من زميلاتي وزملائي. أولهم فهيمة، فقد اقترحت ترجمة الكتابين بالتنسيق مع مجلة فريدة النسوية وكلاهما تعملان تحت مظلة مؤسسة سورس السودانية. وقد تمت عملية إنتاج هذا الكتاب، وكتاب آخر لنفس المؤلفة أشرنا إليه، بدعم من مؤسسة كريا الهندية التي تجد/ين تعريفاً لها في ذيل الكتاب. ويصدر الكتابان بالتزامن.

¹ قمنا بتغيير العنوان في هذه الطبعة إلى "ظاهر ومحجوب وخفي". الدار

في صراعي مع تأنيث لغة الترجمة ورفع حساسيتها الجندرية، أنا ممتن لرؤيا حسن، التي تبادلت معها النقاش في مرحلة مبكرة من إعداد كتاب "التعويل على الحركات النسوية"، ولم أعلم للأسف إلا متأخراً أنها دخلت في نوبة المرض في نفس ذلك الوقت. وكذلك نجلاء التوم التي استمعت وناقشتني بصبرٍ بشأن "مباصري" لبعض العبارات، واختبرت معي مختلف الخيارات، خاصةً عنوان الكتاب. وأنا كذلك شاكرٌ لسليمي شريف، التي تبادلت معها الرسائل عبر الماسنجر أستشيرها حول ترجمتي لعبارة "السُّلْطَة تحت وطأة الأذى power under"، فالعبارة أصلاً مُستكفّة من مجال علم النفس، وسليمي مُمارِسة ذات دربة. وأنا ممتن أيضاً لسناء الصباغ التي راجعت كل النص العربي لُغويًا. وشكري يمتد إلى عادل النعيم الذي أنجز العمل الجرافيكي وتصميم النسخة العربية من الكتاب بشكل مطابق للأصل، وتحمل عبء إدخال التعديلات التحريرية العديدة. ثم أعاد نفس دورة العمل من الصفر بسبب خسارته لكل معدات عمله ووسائل تخزينه الإلكترونيّة التي باعدت الحرب القائمة بينه وبينها.

تقاطعت دروبي اللغوية - الجندرية مع كتاب ومترجمين ناقشوا معضلات الترجمة النسوية. لكني أود أن أشير بشكل خاص إلى مقدمة هالة كمال لكتاب النقد الأدبي النسوي (صدر في 2015 عن مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة)، بالذات الجزء المُعنون "الترجمة النسوية"؛ وكتيب المستعربة النسوية الأمريكية من أصل هندي سونيلا موباى المُعنون "خاتمة الأحزان الجندرية" (صدر في 2021 عن جمعية مفردات، بروكسيل).

م. ن

يونيو 2023

فهم السُّلْطَة

من ناحية هياكلها وعلاقاتها

أمر مهم لكل ناشط/ناشطة تعمل من أجل التغيير الاجتماعي، بل يمثّل فهم السُّلْطَة وهياكلها أمراً أكثر أهمية لأي شخص يعمل في مجال حقوق المرأة، أو المساواة بين الجنسين، أو حقوق أي شخص مهمش(ة) أو يتعرض للتمييز أو الإقصاء من قبل المُجْتَمَع بسبب هويتها/هـ الجنسية أو توجهها/هـ الجنسي، أو بسبب الإثنية، أو الطبقة، أو الطائفة، أو الدين، أو الجنسية، أو الإعاقة/القدرة، أو المهنة (مثل عاملات وعمال الجنس)، أو الموقع (مثل الريفي، الحضري) أو أي عامل آخر.

لكن "السُّلْطَة" فكرة مجردة للغاية، مفهوم كبير ومعقّد، ويفهمه كلّ منّا بطريقته/ها الخاصة، في سياق القضايا التي نعمل عليها، ومن نعمل معهن/م، وما قرأناه عن هذا المفهوم، أو بناء على تجربتنا الخاصة مع السُّلْطَة. الغرض من هذا الكتاب التمهيدي هو إجلاء الالتباس ومساعدتنا على الوصول إلى فهم مشتركٍ للسُّلْطَة، بحيث يمكننا جميعاً نحن الملتزمون/ات بالعدالة الاجتماعيّة والجنسانية،

بناء إستراتيجياتنا انطلاقاً من تعريف وتحليل مشتركين وأكثر شمولاً
لِلسُّلْطَة كما تشغل فعلاً في المُجْتَمَع، بغض النظر عن قضايانا
المُحدَّدة أو السياقات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسية والثقافية.

بصفتي ناشطة، وباحثة لاحقاً، وجدت نفسي أتعامل باستمرار مع
العديد من المفاهيم والظواهر الاجتماعيَّة المجردة التي يصعب
الإمساك بها مثل السُّلْطَة، والديمقراطية، والحقوق، والتمكين،
والمساواة، والتمييز إلخ.

هذه كلها أفكار كبيرة تعني أشياء مُختلفة لمختلف الناس. ولا يمكنك
العثور عليها على رف الكتب أو في متجر لتقول: "ها هي! هذه هي
بالضبط الديمقراطية (أو المساواة أو الحقوق أو السُّلْطَة أو التمكين
أو التمييز)!" في الواقع، يسهل التعرف على العديد من هذه الأفكار
عندما نفتقدها، أو عندما تُنتهك، حيث نعرف كيف تبدو عدم
المساواة، ما هو الشعور بالعجز، وماذا يعني انتهاك حقوقنا.

لذلك خطرت لي خمسة أسئلة أساسية تساعدنا على تقليل الارتباك
وتبديد "ضبابية" هذه الأفكار.

1 ما هي السُّلطة؟

كيف نعرّف السُّلطة؟ ما هي السُّلطة الاجتماعيّة أو السُّلطة في سياق المُجتمعات والعلاقات الإنسانيّة؟ هذا السؤال يساعدنا على الوصول إلى تعريف أكثر وضوحاً للمفهوم، أو الفكرة، أو الظاهرة التي نود فهمها.

2 أين تقع السُّلطة؟

أين تقع السُّلطة، وفي أي مواقعها تهمنا أكثر؟ والموقع هنا لا يعني موقعاً جغرافياً أو سياسياً مثل بلد، أو مدينة، أو قرية، أو مكان مادي معيّن. بل قد يعني المواقع الاجتماعيّة التي تعمل فيها السُّلطة (مثل العائلة أو المُجتمَع)، أو القطاع والفئة السكانية التي تعيننا (العمال والعاملات، المرأة الريفية، أو قطاعات الصحة أو التعليم أو الزراعة). وهذه الأسئلة تعيننا على وضع بعض الحدود المكانية، أو الجغرافية، أو الاجتماعيّة للفضاء الذي نود الإحاطة بالمفهوم في إطاره.

3 كيف تبدو السُّلطة؟

ما وجوه أو أشكال السُّلطة المُخْتَلَفَة؟ هذا السؤال يساعدنا على وصف وتحليل الملامح والخصائص الرئيسية للظاهرة التي تظهر في الموقع الذي وضعناها فيه.

4 ما أسباب أو مصادر السُّلطة؟

ما الذي يسبب نشوء السُّلطة؟ ما الأسباب أو العوامل الجذرية التي تخلق هياكل السُّلطة في مجتمعاتنا؟ ما هي الآليات المستخدمة في استمرار هياكل السُّلطة أو تثبيتها في مكانها؟ والإجابة مُهمّة للوصول إلى جذور الظاهرة التي نحاول فهمها.

5 كيف تعمل السُّلطة؟

كيف تعمل السُّلطة في المُجْتَمَع، كيف تحدّد مقدار السُّلطة التي يملكها مختلف الأفراد والمجموعات؟ كيف تحدد السُّلطة مكاننا في التراتبية الهرمية الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة؟ كيف تشكلنا السُّلطة من الناحية الاجتماعيّة، الطريقة التي نرتبط بها مع بعضنا أو نعامل بها بعضنا البعض؟ كيف تُشكّلنا السُّلطة من الناحية النفسية، أي

الطريقة التي نشعر بها بأنفسنا وبالأخرين؟ عن طريق الإجابة على هذه الأسئلة يمكننا أن نصف ونحلل ونفهم بشكل أفضل الديناميكيات التي تسببها الظاهرة التي نجتهد للإحاطة بها. وتساعدنا هذه الأسئلة على فهم من يتأثر بالظاهرة، وبأي طرق، من يكسب ومن يخسر، كيف تعمل السُّلطة في المُجتمَع أو ضمن الحدود التي عيّناها.

لماذا يعتبر فهم السُّلطة بشكل أكثر وضوحاً أمر مهم؟

نحن كناشطات ونشطاء، مهمومات/ون بالظلم وعدم المساواة والتهميش والإقصاء والتمييز والوصم والعنف الذي نراه يحيط بنا. لكن هل ندرك دائماً أن السُّلطة تقع في صلب كل هذه المشكلات، وفي قلب كل مشكلة اجتماعية؟ هل ندرك أن أشكال الظلم وعدم المساواة من كل نوع هي في الواقع تعبير عن القوة أو أحد أعراض هياكل السُّلطة؟ الحقيقة أن السُّلطة تكمن في لبّ العلاقات الإنسانية وكيفية تنظيم المُجتمعات. لذلك عندما يحاول النشطاء تغيير حياة الناس، أو معالجة المظالم التي يواجهونها، فإنهم في الواقع يحاولون تغيير معادلات السُّلطة.

يُدرِك معظمنا السُّلطة، ويفهمها إلى حدٍ ما. لكن في كثير من الأحيان، نُدرك السُّلطة في أشكالها الأكثر وضوحاً أو مباشرةً، لكن ليس في أشكالها الأخرى أو تلك الأشكال الأكثر تعقيداً. على سبيل المثال، ندرك أن افتقار النساء إلى الموارد الاقتصادية هو سبب من أسباب غياب صوتهن داخل أسرهن، أو أن المواقف الاجتماعية تقود إلى تفضيل الأبناء والتميز على البنات. لذلك ننشئ برامج توليد الدخل أو القروض الصغيرة للنساء، أو حملات التوعية حول حقوق الفتيات. ثم نكتشف أنه في حين ساعدت هذه البرامج إلى حدٍّ ما، لا تزال المواقف الاجتماعية الأساسية قائمة. النساء يكسبن أكثر، لكن أزواجهن يتحكمون في دخولهن.

ذلك لأن إستراتيجياتنا عالجت الأعراض وليس الأسباب الجذرية لهذه المشكلات. وإذا أردنا تغيير معادلات السُّلطة بشكل فعال، يجب أن يكون لدينا فهم أعمق وأوضح للسُّلطة. يجب أن يبدأ ذلك بفهم أعمق وأكبر للمواقع المُختلفة التي تعمل فيها السُّلطة، ووجوهها وأشكالها المُختلفة، وكيف تُبنى هياكل السُّلطة وكيف تستمر. ويُعد فهم القوة بجميع أبعادها أمراً مهماً بشكل خاص لناشطات ونشطاء

حقوق المرأة والمساواة بين الجنسين؛ لأن الأبعاد الأيديولوجية غير المرئية للسلطة مهمة بقدر أهمية الحصول على الموارد لاستمرار التمييز بين الجنسين.

تساعدنا الإجابة على هذه الأسئلة في العثور على أفضل الطرق للتأثير على الطريقة التي تعمل بها السلطة، أو تغييرها في المجتمعات أو المجالات أو القضايا المحددة التي نعمل عليها. على سبيل المثال، يمكننا معرفة كيفية تغيير ديناميكيات السلطة في سياق أو موقع معين، أو كيفية تعزيز وحماية حقوق مجموعة معينة من الأشخاص.

ما هي السُّلطة؟

السُّلطة الاجتماعيّة هي قدرة مختلف الأفراد أو المجموعات على تحديد من يحوز ماذا، من يفعل ماذا، ومن يقرر بشأن ماذا، ومن يضع جدول الأعمال.

حاول العديد من الفلاسفة والمفكرين السياسيين والنشطاء في أجزاء مُختلفة من العالم وعلى مرّ التاريخ تعريف وتحليل السُّلطة في المُجتمَع. كانت بعض هذه التعريفات في غاية البساطة، وكان بعضها الآخر معقدًا جدًّا. خطت الباحثات والناشطات النسويات خطوة كبيرة إلى الأمام عندما أدركن أن السُّلطة الاجتماعيّة لا تعمل فقط في العالم الأوسع، وإنما أيضًا في بيوتنا وفي علاقاتنا الشخصية الأكثر حميمة.

عندما ننظر إلى كل هذه التعريفات، يتّضح لنا أن السُّلطة عُرِّفت لزمّنٍ طويل وبشكلٍ أساسي بأنها قوة ذات اتجاه واحد، وشكل من أشكال السيطرة على الآخرين/ات. كانت السُّلطة تتعلق ببعض الأفراد أو الجماعات في المُجتمَع ممن يملكون القدرة على التحكم في تصرفات وفرص الآخرين/ات. وكان الاعتقاد أيضًا أن السُّلطة تنشأ في

المقام الأول من السيطرة على الموارد. حاز من امتلكوا الأرض، أو أموالاً أكثر، على سبيل المثال، سلطة أكبر من الفقراء أو من لا يملكون أرضاً. لكن بمرور الوقت، أدركنا أن السُّلطة أكثر تعقيداً من ذلك. في الواقع، فمثلما تطوّرت المُجتمعات وتغيّرت، كذلك تغيّرت السُّلطة الاجتماعيّة. ونحن ندرك اليوم أن السُّلطة لا تتعلّق الآن فقط بالسيطرة ولكن بالقدرات، وأنه في حين تعتمد هيكل السُّلطة جزئياً على التحكم في الموارد، فإن الموارد لا تُفسّر بشكل كامل سبب استمرار تفاوتات السُّلطة حتى عندما نعيد توزيع الموارد.

الطريقة الجيدة حقاً لتعريف السُّلطة في واقع اليوم هي أن السُّلطة عبارة عن قدرة الأفراد أو المجموعات على البت في أو التأثير على:

من تحصل/يحصل على ماذا

هذا الجانب لا يتعلّق بالموارد وحدها، وإنما أيضاً بكيفية توزيع الفرص والحقوق والامتيازات في المُجتمع. من السهل التعرف على نوع أو هيكل السُّلطة الاجتماعيّة في المُجتمع من خلال البحث عن يملك الأرض، ومن يرتاد المدرسة، ومن يتلقّى العلاج لمرضه ومن لا يتلقاه، ومن يُسمح لها/له بوقت فراغ أكبر.

هذا الجانب يتعلّق بتوزيع العمل وهو أمر ضروري لبقاء المُجتمعات. ومن المهم هنا أن نلاحظ أن السّلطة لا تأتي فقط من توزيع الجهد في العمل المنتج (زراعة الغذاء والعمل في المصنع) الذي ينتج السلع والخدمات والذي يتحقق من خلاله اكتساب الدخل، بل أيضاً مما يطلق عليه إعادة الإنتاج (العمل المنزلي، ورعاية الأطفال، والطهي، والبحث عن الماء، وجمع الوقود). وسيدرك كل من تقرأ/يقرأ هذا الكلام، على الفور تقريباً، أن العمل في الإنتاج وفي إعادة الإنتاج مُقسّمان على أساس النوع في غالبية المُجتمعات.

يتعلق هذا الجانب بتوزيع سلطة اتخاذ القرار في مختلف الفضاءات التي نعيش حياتنا فيها، وفي المؤسسات التي تدير مجتمعاتنا. و تتعلّق السّلطة، جزئياً على الأقل، بمن يملك السّلطة الأكبر في اتخاذ القرار فيما يختص بمختلف جوانب حياة الفرد (من أو متى يتزوج، ومن يذهب إلى المدرسة)، أو حياة الأسرة (أي محاصيل تزرع، وأين تعيش، وكم تنفق على الإيجار، وأي نوع من العمل المدر للدخل

تقوم به)، أو حياة القرية أو البلدة (على أي بنود تُنفق ميزانية القرية/البلدة، ومن يستخدم أي بئر للشرب، وأي طريق ينبغي إصلاحه، وأين توضع المراحيض أو المستشفى)، أو حياة الجماعة أو الطائفة أو المجموعة الاثنية (أي تقاليد وأعراف ستطبق، وكيف يحل النزاع)، أو حياة البلد (القوانين الوطنية، والسياسة، وتخصيصات الميزانية).

من تصيغ/يصيغ جدول الأعمال

أصبح هذا الجانب أهم جوانب السُّلطة الاجتماعية تقريباً في عالم اليوم. فهو يتعلق بسلطة تحديد ما هو مهم وما هو غير ذلك، ما الذي يمكن أو لا يمكن نقاشه، ما الذي يحدث الفرق وما هو غير ذلك. وتنعكس سلطة وضع جدول الأعمال، على سبيل المثال، في كيف تحدد الصحف ما تضعه على الصفحة الأولى، وماذا تضع على الصفحة الرابعة أو الخامسة. وتعمل سلطة وضع جدول الأعمال في الفِضاءات الخاصة مثل الأسرة وفي الفِضاءات العامة مثل الهيئات الدولية المسؤولة عن السياسات، والحكومات الوطنية، والاعلام، وتعمل هذه السُّلطة في أحيان كثيرة بشكل خفي أو غير ظاهر.

من الذي تصنع سلطته في اتخاذ القرار الفرق؟

تتعارض السُّلطة التي تملكها هذه المؤسسات والفضاءات المُخْتَلَفَة في اتخاذ القرار، في بعض الأحيان، أو تتناقض مع بعضها. قد يقرر المشرعون/ات، على سبيل المثال، أن على جميع الأطفال الذهاب إلى المدرسة بغض النظر عن الجنس. لكن المُجْتَمَع أو الطائفة أو القبيلة أو المجلس الديني قد يرى أن ارتياد الفتيات المدرسة بعد سن المراهقة مخالف لعاداتهم وثقافتهم؛ بل ربما يقرر ذلك رب الأسرة (عادة رجل أو امرأة مسنة قوية). تسود في العادة سلطة رب الأسرة في اتخاذ القرار، في هذه السياقات، إذ يتعين على الفتيات المعنّيات أن يعشن حياتهن اليومية في المنزل ووسط مجتمعهن. وتصبح سلطة البرلمان الوطني في صنع القرار بعيدة ولا أثر لها بالنسبة للفتيات المتأثرات بهذه القرارات.

وضع جدول الأعمال بشكل خفي

تقدم الصحف أو القنوات التلفزيونية الأخبار اليومية "المهمة". وتفترض أن العناوين والأخبار التي نراها على الصفحة الأولى أو في البرنامج الإخباري على التلفزيون هي أهم أحداث الـ 24 ساعة

الماضية، وأن هذه هي القضايا المهمة على المستوى الوطني. وتفترض أيضاً أن الأحداث الواردة في الصفحة الرابعة أو الخامسة من الصحيفة أقل أهمية. فتعتبر زيارة رئيس الوزراء إلى الصين أو الولايات المتحدة أو حدث رياضي كبير، على سبيل المثال، أخبار صفحة أولى، في حين ترد أخبار انتحار المزارعين المفقرين، أو الهجوم على أقلية أو مجموعة من السكان الأصليين في الصفحة الخامسة. لكن هذا الوضع، في الواقع، هو جزء من سلطة وضع جدول أعمال الإعلام. لماذا لا يظهر انتحار المزارعين أو العنف ضد مجتمَع معين في الصفحة الأولى؟ لماذا هي أخبار أقل أهمية من زيارة خارجية لأحد السياسيين أو من حدث رياضي؟ شخصٌ ما يشكل طريقة تفكيرنا، ويضع جدول الأعمال، وبالكاد ندرك ذلك.

وضع جدول الأعمال على الصعيد الدولي

كان التحدي الرئيسي في المناقشات بشأن التنمية الدوليّة، إلى ما قبل 10 أو 15 سنة مضت، هو كيفية القضاء على الفقر. بدأ التحول بعدها، فبدأوا يقولون لنا أن تغير المناخ هو أهم قضية تؤثر على العالم. وبينما يتأثر الفقراء بالتأكيد بتغير المناخ، لكنهن/م ليسوا

هم/هن من يساهمن/ون فيه أو يفاقمونه بأي شكل من الأشكال. لكن تركيز قادة العالم والمؤسسات الكبرى متعددة الأطراف وبنوك التنمية على تغير المناخ، وتركيز وسائل الإعلام عليه، جعل قضية الفقر المهولة غير مرئية تقريباً. وأصبحنا قليلاً جداً ما نسمع اليوم عن حقيقة أن 1.4 مليار شخص في العالم يعيشون في فقر (بأقل من 1.25 دولار في اليوم)، وأن الغالبية العظمى من هؤلاء الناس من النساء والأطفال. لا أقول إن تغير المناخ لا يمثل فرقاً، بل هو مهم. لكن الفقر مساو له في الأهمية، إن لم يكن أكثر أهمية منه. والنقطة المهمة هنا هي أن من يملكون سلطة وضع جدول الأعمال قادرون على تشكيل نظرتنا للعالم، والتأثير على ما نعتقد أنه مهم، وتحديد الأولويات بطرق غالباً ما تكون غير مرئية.

وضع جدول الأعمال على صعيد الأسرة

تؤثر سلطة وضع جدول الأعمال على حياة الناس في داخل الأسرة أيضاً.

مالا فتاة تبلغ من العمر 16 عاماً وهي طالبة جيدة جداً، وتريد فعلاً إكمال المدرسة والذهاب إلى كلية الطب. لكن والداها يعتقدان أن

الهدف الأساسي للفتاة هو الزواج والإنجاب. والعرف في مجتمَعها هو الزواج المبكر، الذي يرتبه الوالدان. يشعر والدا مالا بالقلق من أنهما إذا لم يعثرا على زوج مناسب لها بحلول وقت تخرجها من المدرسة، فقد لا تتمكن من الزواج على الإطلاق. وتوبّخها والدتها في كل مرة تتطرق فيها مالا لموضوع ذهابها إلى كلية الطب. وتدور كل الحوارات بشأن مالا حول زواجها، وليس تعليمها العالي. مالا غير قادرة على وضع رغباتها على جدول أعمال الأسرة. إنها لا تملك سلطة وضع جدول الأعمال.

أين تشتغل السُّلطة

تشتغل السُّلطة الاجتماعيّة في كل الفضاءات التي يمارس فيها الناس حياتهم.

نهتم بصفتنا نشطاء في مجال التغيير الاجتماعي بفهم طريقة عمل السُّلطة في ثلاث مجموعات مُختلِفة من العلاقات:

بين الأفراد

تعمل السُّلطة بين الناس، وبين الأصدقاء، وبين الزملاء في مكان العمل، وداخل العلاقات الحميمة مثل الزواج، وفي المساحات الخاصّة مثل الأسرة. نهتم بالسُّلطة في العلاقات الشخصية لأن هذا هو المكان الذي تتعرض فيه النساء، أو كل أولئك اللاتي تعتبرن أنفسهن نساء، إلى قدر كبير من العنف والتمييز.

بين المجموعات الاجتماعيّة

تعمل السُّلطة بين وعبر مجموعات الأشخاص التي تتشارك هوية من نوع ما. نرى السُّلطة الاجتماعيّة تعمل، على سبيل المثال، بين الأشخاص من مختلف المجموعات بناءً على الهويات الجنسية (رجالاً،

نساءً، عابرون/ات جنسيًا، والأعراق، والطوائف، والطبقات، والمعتقدات الدينية، والقدرات/الإعاقات، والتعبيرات الجنسية، والمواقع (القرويون، سكان المدن والمهن). ونهتم بالسلطة بين الفئات الاجتماعية لأنها هي ما يخلق أنظمة التسلسل الهرمي الاجتماعي، من وصمة وإقصاء وتمييز وصراع وعنف، ما يسمح باستغلال بعض الفئات من الناس وهيمنة فئات أخرى. هذه هي هياكل السلطة الاجتماعية التي تسبغ السلطة والامتيازات والحقوق على البعض وتحرم آخرين/أخريات منها.

بين التشكيلات السياسية والاقتصادية

تعمل السلطة داخل مختلف أقاليم البلد، بين البلدان، أو مجموعات من البلدان - بين البلدان "المتقدمة" و"النامية"، بين "الشمال" و"الجنوب"، وفي ظهور تحالفات جديدة مثل "دول البريكس" (البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب إفريقيا) التي أصبحت قوية من الناحية الاقتصادية والسياسية. ويشمل ذلك ظهور شركات قوية غالباً ما تكون خارجة عن سيطرة أي حكومة وطنية، وقادرة على التأثير، ليس فقط على السياسات الوطنية لصالحها، لكن أيضاً على

انتهاك القوانين التي قُصد منها حماية المواطنين. يجب علينا تضمين شبكات الإرهاب والجماعات الأصولية، وكذلك المتاجرين بالمخدرات والبشر والأسلحة، في التشكيلات السياسية والاقتصادية في عالم اليوم. كل هؤلاء اكتسبوا سلطة كبيرة، بما في ذلك النفوذ على الحكومات والممثلين المنتخبين، وعلى حياة الناس العاديين.

داخل ذواتنا

نعلم أيضًا أن السُّلطة تقع داخل ذواتنا. إذ لا يوجد تفسير آخر يعلّل لنا لماذا رأينا أفراداً وجماعات، عبر التاريخ، ينتفضن/ون ضد الظلم والقمع حتى عندما كانت القوى التي تواجههن/م أقوى منهن/م بكثير ويمكنها سحقهن/م بسهولة. لقد رأينا، حتى داخل أسرننا، نساء فرادى ينهلن من مصدر عميق للقوة والشجاعة ويتحدّين جميع التقاليد والقواعد الاجتماعية ويسرن في طريقهن الخاص - النساء اللاتي رفضن الزواج، ومن ناضلن من أجل حقهن في التعليم، ومن تحدّين العادات غير العادلة (مثل حرق الأرامل، ومطالبتهن بالمهر، والوصمات الطائفية، والصمت إزاء العنف الجنسي) والتمييز ضدهن بسبب مظهرهن، أو عرقهن، أو انتمائهن الإثني، أو توجههن الجنسي،

أو هويتهن الجندرية، أو إعاقتهن وما إلى ذلك. لم "يمنح" أحد هؤلاء النسوة السُّلطة على القيام بهذه الأشياء؛ بل يستمدونها من داخل أنفسهن! كل واحدة منا لديها السُّلطة داخلها، على الرغم من أننا قد لا نعترف بها أو نستخدمها.

تقاطعية السُّلطة

قصة هدى

كان الوقت صباح يوم أحد. استيقظت هدى في الخامسة صباحًا، غسلت يديها وقدميها الملتويتين بسبب الإصابة بشلل الأطفال وجثت على ركبتها تصلي صلاة الصبح. ذهبت بعد الصلاة إلى المطبخ لتشعل نار الطبخ وتبدأ تحضير وجبة الصباح لأسرتها. جاءت حماتها إلى المطبخ بعد بضع دقائق ووجدت الطعام قد قارب الاستواء. اتهمت الحماة هدى بأنها لم تؤدِّ صلاة الصبح. صفعتها وركلتها وقالت لها أنها ستذهب إلى الجحيم رأسًا. لم تتفوه هدى بكلمة وواصلت عملها.

أصبح الطعام جاهزاً، فجلست هدى لتبدأ عملها في التطريز. تطرز هدى يومياً منادياً وشالات وجاكيتات لصالح تاجر محلي، لتكمل الدخل الشحيح لزوجها الذي كان يعمل في محل لبيع الشاي. لكن العمل أصبح أصعب الآن. قال التاجر إن السوق بطيء، فأصبح على هدى العمل لساعات أطول يومياً، إضافة إلى أشغالها المنزلية، لتكسب نفس الدخل الذي كانت تكسبه قبل خمس سنوات مضت. في المساء وبعد عودة الأطفال من المدرسة تقدم لهم شيئاً من الطعام. انتهت هدى من عمل اليوم. هدى تغطي وجهها وجسدها كما جرت العادة في مجتمَعها. عندما وصلت هدى إلى المتجر التاجر، قابلها التاجر بالاستهزاء المعتاد. "آه ها هي، المرأة التي ترتدي كيساً أسود! الصماء البكماء الغبية العرجاء التي لا تتحدث ولا تسمع. صاحبة التطريز عديم الفائدة من الدرجة الثالثة الذي بالكاد أجد زبوناً له! أرني أي عمل مثير للشفقة أنجزته اليوم!" سلمت هدى بصمت عشرات الأوشحة التي كانت قد طرزتها في الأيام القليلة الماضية، انكفأت على العمل لما يقرب من 10 ساعات يومياً، فأصاب الألم رقبتها وكتفيتها، وتخذرت أصابعها.

ألقى التاجر نظرة خاطفة على العمل ثم سلم هدى على مضض
نقوداً أقل مما دفعه الأسبوع السابق مقابل نفس القدر من العمل.
بدأت هدى في الاحتجاج قائلة "لكن سيدي...". صاح التاجر "ماذا؟
ماذا تقولين؟ لا تريدين المال؟ إذن خذي عملك البائس واخرجي من
هنا!" أدركت هدى أنها هُزمت. كانت فقيرة، وامرأة، وأمّية، ومعاقّة
جسدياً، وتنتمي لأقلية. لم تكن ضد أحد، لكن العديد من هياكل
السُّلطة المُخْتَلَفَة تتضافر لإحكام السيطرة عليها.

السُّلطة داخل ذواتنا

قصة شميم

تُبَيِّنُنا قصة شميم أخت المذهلة كثيراً عمّا يمكننا تحقيقه عندما
نستخدم القوة التي فُتِلِكها داخل ذواتنا. شميم امرأة عادية من
أسرة فقيرة في إسلام آباد في باكستان. وهي ليست ناشطة اجتماعية،
ولم يَقم أي ناشط أو مُنظِّمة بـ "تمكينها". لكن رغم كل الصعاب،
نجحت شميم في أن تصبح سائقة شاحنة، مثل زوجها الراحل.

عندما قرّرت شميم أن تصبح سائقة شاحنة للمساعدة في إعالة أسرّتها، لم تقلق بشأن وصمها اجتماعياً، أو بما سيقوله الناس، أو مضايقات الرجال، أو المخاطر التي قد تهدّد أمانها. رفضت أن تقبل كلمة "لا" من مدرسة القيادة المحلية، وفي النهاية لم يكن أمام المدرسة خيار، سوى قبولها وتعليمها قيادة الشاحنات.

شميم اليوم سائقة شاحنة، تحظى باحترام وتقدير كبير من قبل السائقين الآخرين، الذين يعاملونها جميعاً على قدم المساواة، أو كأم أو أخت. وليس من تفسير لشجاعة شميم وثقتها بنفسها سوى أنها تحمل ذلك الإحساس بقوتها الخاصّة - بالقوة داخل ذاتها؟ بالطبع لا يمكننا جميعاً القيام بأشياء مُختلفة جريئة مثل شميم، لكن يمكننا جميعاً أن نتعلّم كيف ندرك هذه القوة داخلنا.

يمكنك الاستماع إلى شميم وهي تحكي قصتها على الرابط

<https://youthkiawaaz.com/2016/10/pakistan-first-woman-truck-driver/>

من أين تأتي السُّلطة؟

السُّلطة لا تنشأ من الموارد الاقتصادية وحدها

تنشأ السُّلطة الاجتماعية في البداية من الوصول إلى الموارد والتحكم فيها. ويكتسب بعض الأفراد أو الجماعات، لأسباب مُختلفة، سيطرة أكبر على الموارد فيصبحون أكثر قوة. ولكن الأمر لا يتعلق بالموارد الاقتصادية فقط. هناك في الواقع أربعة أنواع على الأقل من الموارد التي تخلق السُّلطة الاجتماعية في عالمنا اليوم.

الموارد المادية أو الاقتصادية

يعرف معظمنا ما هي الموارد المادية أو الاقتصادية، أي الأرض والأصول الثابتة مثل المنزل والمجوهرات والمال. إن الاعتقاد بأن الموارد الاقتصادية هي أصل كل السُّلطة الاجتماعية هو اعتقاد قوي للغاية. لكنه أيضاً غير صحيح بشكلٍ كامل. نعم، تمثل الموارد الاقتصادية مصدراً كبيراً للقوة. لكن هناك موارد أكثر خفاءً أصبحت مصادراً متزايدة الأهمية للسُّلطة.

الموارد البشريّة

السيطرة على أجساد الناس وعملهم مصدر رئيسي للسلطة الاجتماعيّة. وهذا أمر يسهل فهمه للنساء؛ إذ غالباً ما تقع السيطرة على أجسادنا في أيدي الآخرين، بما في ذلك حياتنا الجنسية وقدرتنا الإنجابية. لا تستطيع النساء اتخاذ قرارات بشأن الجنس (حتى قول لا لأزواجهن)، أو حول ما إذا كنّ يردن إنجاب أطفال أو عدد الأطفال اللاتي يردن. ويتحكم الآخرون بمدى التصرف في أجسادنا، وكيف تبدو، وفي أي مكان يمكن أن تكون. ليس لدينا الحق في التنقّل بحرية أو أن نتواجد وحدنا في أماكن معينة، وغالباً لا يمكننا اختيار طريقة لباسنا، ولا نُشجّع بشكل عام على التواجد في الأماكن التي يسيطر عليها الرجال. ويُعتبر التحرش في الشوارع أو في وسائل النقل العام، وعدم الخروج بعد حلول الظلام، وارتداء ملابس "كاشفة" أو عدم تغطية وجوهنا أو أجسادنا بشكل مناسب، قيوداً طبيعيّة تماماً على النساء. لكنها في الواقع أشكال للسيطرة على أجسادنا والحريات التي يجب أن نتمتع بها.

وبالمثل، تُعتبر القدرة على التحكم في العمل الذي نقوم به، أيضاً تعبيراً عن التحكم في الموارد البشرية، ومصدراً للسلطة. فالأفراد والجماعات ذوي السلطة الأكبر، يتحكمون في عمل الآخرين - ويمكن أن تستند هذه السلطة على النوع (للرجال سلطة على عمل وأجساد النساء)، والطبقة، والطائفة، والإثنية، والجنسية، إلخ. كان نظام الطوائف المغلقة بأكمله في الهند، على سبيل المثال، يقوم على التحكم الصارم في تحديد من يقوم بأي نوع من العمل، مع إسناد قيمة أعلى لبعض أشكال العمل (العمل الذهني أو الأعمال التجارية) مقارنة بالعمل المتصل بالتنظيف أو النفايات (الحلاقون، الغسالون، الكناسون، عمال الجلود). وقد عومل من يؤدون هذه المهن "المتواضعة" بوصفهم "منبوذين"، على الرغم من أن العمل الذي يقومون به ضروري للمجتمع.

السيطرة على السلطة المعرفية من أجل بناء سلطة اجتماعية

نظام الطوائف في الهند

يُعتبر نشوء وترسيخ نظام الطوائف في الهند مثلاً شديداً للوضوح على كيفية استخدام سلطة المعرفة لزيادة السلطة الاجتماعية. فهذا

النظام لا يقوم فقط على المهنة، وإنما أيضاً على تحديد من يحصل على أي نوع من المعرفة والمعلومات، فكلاهما مرتبطان ببعضيهما. الفئة المنبوذة غير مسموح لها حتى الاقتراب من مراكز التعلم (مثل المدرسة أو الدير) أو أن تنظر في كتاب حتى! ورغم أن طائفة الشودرا (أدنى الفئات في نظام الطوائف الهندي الأربعة) والداليت (الذين اعتبروا أدنى من أن يصنفوا ضمن نظام الطوائف) تشكل غالبية السكان، فقد هيمنت عليهم ما تسمى بالطوائف "العليا" برفضها حصول الشودرا على أي نوع من التعليم الرسمي. ويصبح الأمر أكثر إثارة عندما يتعلق بالنساء. ففي حين يسمح للنساء من طائفتي البراهما (رجال الدين والمعلمين) والكشاتريا (الحكام)، بمستوى ما من التعليم، بمعنى محو الأمية وتعلم النصوص الدينية، يتم هذا التعليم تحت رقابة محكمة ويقدم بشكل محدود. بل غير مسموح لهؤلاء النساء لمس كتاب مقدس أو دخول مكان للتعلم أو العبادة أوقات يعتبرن "نجسات" في فترات دورتهن الشهرية أو بعد الولادة. وطبعاً غير وارد السماح لنساء الطوائف الأدنى - خاصة نساء الشودرا والداليت - أن يحون أميتهن أو يحصلن على أي نوع من التعليم الرسمي.

المعرفة كمورد

هناك قول مأثور مفاده أن "المعرفة قوة"، بل أصبحت المعرفة والمعلومات مصادر أكثر أهمية للسلطة في عالم اليوم، وهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالموارد الاقتصادية. ويمكن للأشخاص المتعلمين/ات أو ذوي/ذوات المهارات المهنية أو التقنية أن يصبحوا مؤثرين وأقوياء، حتى لو لم ينحدروا من خلفيات اقتصادية ثرية. وحتى على المستوى القاعدي، يتمتع الشخص الفقير القادر على القراءة والكتابة بسلطة اجتماعية أكبر من غير الملّمين بالقراءة والكتابة - إذ يمكنه الوصول إلى المعلومات، على سبيل المثال، حول ميزانية المجلس القروي، أو حول مخطط جديد تطلقه الحكومة، أو حول برنامج قروض جديد يقدمه البنك. ويمكن تحويل القدرة على الوصول إلى المعرفة إلى قدرة على الحصول على أصول أو موارد إنتاجية جديدة، وكذلك تحويلها إلى مصدر لمكانة اجتماعية وتأثير أعلى في المجتمع. ومن الجانب الآخر، يتمتع من يملكون موارد اقتصادية أكثر بقدرة أكبر على الوصول إلى المعرفة والمعلومات.

الموارد غير الملموسة

قدمت لنا الخبرة الاقتصادية النسوية الجنوب آسيوية، نايلا كبير، هذا المفهوم الرائع، مشيرة إلى أن السلطة الاجتماعية تنبع أيضاً من موارد، كثيراً ما تكون غير مرئية - موارد لا يمكننا بالضرورة رؤيتها أو لمسها، لكنها مع ذلك حقيقية جداً - معارفك من الناس، وشبكات الدعم الاجتماعي، وعضويتك في حركات اجتماعية أو نقابات، وغيرها من الموارد "العلائقية" الحقيقية للغاية، لكنها غير مرئية أو ملموسة مثل موارد أخرى من قبيل المال أو الأرض أو العمل. ويستخدم الأشخاص ذوي السلطة الاجتماعية الموارد غير الملموسة لإبعاد الآخرين، لكن الأشخاص المهمشين يستخدمون هذه الموارد بدورهم لاكتساب القدرة على الوصول إلى الأماكن أو الفرص التي حُرِّموا منها. على سبيل المثال، يستخدم الناس الموارد غير الملموسة لدعم بعضهم البعض خلال الأوقات الصعبة، أو للحصول على وظيفة، أو للقبول في مدرسة أو كلية، أو لمقابلة مسؤول أو سياسي مهم، ما كان له أن يستقبلك في مكتبه لولا هذه الموارد غير الملموسة.

السُّلْطَة التي في داخلك

من الضروري أن نكرر هنا النقطة التي أشرناها في القسم السابق من هذا الكتيب - فالذات هي أيضاً مصدر للسُّلْطَة. غالباً ما يُحمل الناس على الاعتقاد بأنهم ضعفاء، أو أقل شأنًا بسبب موقعهم في بنية معينة للسُّلْطَة الاجتماعيّة - بسبب انتمائهم الطبقي أو بسبب طائفتهم أو عرقهم أو إثنيّتهم أو دينهم أو هويتهم الجنسية أو مهنتهم أو عوامل أخرى. والسُّلْطَة الداخلية هي كذلك مورد غير ملموس، أمر يصعب تفسيره، لكن يستحيل أيضاً على أي شخص الإمساك به أو سلبك إياه. و"التمكين" هو العملية التي نحاول من خلالها التواصل مع هذه السُّلْطَة الأساسيّة التي نحملها جميعاً بين جوانحنا. وعندما نربط هذه السُّلْطَة الداخليّة بالسُّلْطَة الكامنة في الآخرين، يمكننا بناء عمليات التغيير التي بإمكانها تفكيك وتحويل هياكل السُّلْطَة التي تبدو ظاهرياً غير قابلة للتغيير!

قصة شيلا

كانت شيلا فتاة صغيرة ذكية ومتمردة أظهرت نضجاً مبكراً. كانت تطلب دائماً تفسيراً عندما يُقال لها إنها بوصفها فتاة يجب أن تفعل

هذا وألا تفعل ذاك. سئم كل فرد في الأسرة من أسئلتها، باستثناء جدتها. كانت الجدة تقول "دعوا الفتاة تسأل - دعونا نسمع إجابة معقولة! لماذا عليها أن تقبل هذا، هل ذلك لمجرد أن النساء مثلي سمحن للآخرين بقهرهن؟". وقالت لشيلا: "استمري في السؤال. وإذا لم ترضك الإجابة، لا تستمعي لها، افعلي ما تريه صواباً!". قالت الجدة لشيلا أنها يجب أن تدرس لتصبح محامية أو طبيبة وأن تحصل على وظيفة وتكسب مالها الخاص. ونصحتها "احتفظي بحساب مصرفي خاص بك. ولا تعط مالك إلى زوجك! لم يمنحك الله كل هذا الذكاء لتجلسي في البيت تطبخين وتقومين بأعمال الحмир لمجرد أنك فتاة. اصنعي شيئاً من نفسك - لا تكوني مثلي".

نشأت شيلا، بفضل جدتها، وهي تشعر أنها قوية للغاية في داخلها، حتى عندما كانت تقوم بأدوار لا سلطة رسمية فيها، أو في المواقف التي لم يعتبرها فيها أي شخص آخر فتاة قوية. وكان الطلاب الآخرون يطلبون نصيحتها دائماً، حتى عندما كان شخص آخر هو ممثل الفصل. بل كان أبناء عموماتها الأكبر سناً يسألونها رأيها في الأشياء التي يريدون القيام بها. ونتيجة لذلك، كان صوتها مسموعاً دائماً،

عندما كبرت وبدأت العمل في منظمات تنموية مُخْتَلِفَة، كانت آراؤها مسموعة دائماً، على الرغم من أنها لم تكن "الرئيسة"، لأن الشعور بالسلطة النابعة من الداخل كان يشع منها.

كيف تبدو السلطة؟

لقد رأينا جميعاً السلطة ويمكننا التعرف عليها عادةً عندما نراها تُمارس علينا أو على الآخرين. لكن هذه التجارب، أي عندما يكون سهلاً أن ترى السلطة، ما هي إلا شكل أو وجه واحد من أشكال ووجوه السلطة. وفي الواقع، للسلطة ثلاثة وجوه: ظاهر، ومحجوب، وخفي. ومن المهم أن نتعرف على وجوه السلطة الثلاثة إذا أردنا النهوض بالعدالة الاجتماعية.

وجوه السلطة الثلاثة

السلطة الظاهرة أو المباشرة هي شكل السلطة الذي نألفه أكثر من غيره، وقد اختبرناه جميعنا، ونراه فاعلاً، يومياً تقريباً، في المجالين العام والخاص على السواء.

وجه السّطة الظاهرة في المجالات العامّة

السّطة الظاهرة هي القدرة على التحكم في خيارات الناس، وحصولهم على الموارد، وعلى التحكم في صوتهم في صنع القرار، وتأطير القواعد التي تنظم المُجتمعات وتحكم البلدان. إنه نوع السّطة الذي نراه في أيدي القادة السياسيين والشرطة والجيش والقضاء. كما يملكه أيضاً القادة الدينيون مثل القساوسة، ورؤساء الشركات متعددة الجنسيات، وزعماء العشائر والقبائل، وقادة منظمات الحركات الاجتماعيّة مثل النقابات العمالية، أو المنظمات غير الحكومية والمنظمات النسائية. وتحدد السّطة الظاهرة من يشارك - ومن يستبعد - في صنع القرار في المجال العام، بشأن قرارات مثل حجم الميزانية الوطنية التي ستقسم بين التعليم والصحة والدفاع؛ أو النسبة المئوية التي ستخصص من ميزانية المجلس القروي لبناء طريق مقابل إصلاح المدرسة. وهذا ما يُفسّر هيمنة مصالح المجموعات الاقتصاديّة والاجتماعيّة ذات النفوذ (بحكم ما يملكون من أصول أو ثروة أو مناصب أو بحكم جنسهم أو عرقهم أو

طبقتهم أو إثنيتهم أو طائفهم، على سبيل المثال) على الأنظمة السياسية على حساب الفقراء، حتى لو كان هؤلاء الفقراء أكثر عدداً.

وجه السُّلطة الظاهرة في المجالات الخاصة

تعمل السُّلطة الظاهرة أو المباشرة على نحوٍ مماثل، سواء في الأسرة أو المنزل أو في المؤسسة الزوجية. لكن السُّلطة هنا تنشأ من الأعراف الاجتماعيّة والعادات التي تحدد مَنْ يتحكم في مَنْ، وليس بسبب أي سلطة رسمية من قبيل ما قد تحوزه الحكومة أو الشرطة أو الجيش أو المحاكم. إن السُّلطة الظاهرة في المجال الخاص ذات طابع جنساني عميق، وتخلق تسلسلات هرمية على أساس العمر، والحالة الاجتماعيّة، والسيطرة على الأصول الخاصة، وما إلى ذلك. ومن الأمثلة الجيدة على ذلك، السُّلطة المباشرة التي يتمتع بها أرباب الأسر من الذكور أو النساء المتزوجات الأكبر سنّاً (الحموات)، وتقسيم العمل بين الجنسين في الأعمال المنزلية والرعاية، وكذلك العمل المنتج اقتصادياً، وسلطة اتخاذ القرار داخل العائلة أو الأسرة. وتُملي هذه السُّلطة الظاهرة، على سبيل المثال، على النساء أن تقمن ببعض المهام المنزلية والإنتاجية التي تعتبر ضرورية للبقاء اليومي، لكنهن لا

يتمتعن بالحق في الأجر المتساوي، ويتم التحكم في دخلهن، وحقوقهن في الميراث، أو حتى السيطرة على أجسادهن من حيث التنقل، والعلاقات، والتعبير الجنسي، أو الإنجاب. وتفسر السُّلطة الظاهرة أو المباشرة أيضًا ظواهر مثل تفضيل الأبناء الذكور على البنات.

تتعلق السُّلطة المحتجبة أو غير المباشرة، التي تسمى أحيانًا سلطة وضع جدول الأعمال، بمن يؤثر في القرارات أو يضع جدول الأعمال خلف الكواليس، أو من يُسمع صوته/ها أو يُستشار في قضية معينة. إنها القدرة غير المباشرة على التأثير على فرص الناس، ووصولهم إلى الموارد والحقوق، بدون إعطاء أوامر مباشرة أو امتلاك أي حق رسمي للقيام بذلك، وبدون أن تكون هذه السُّلطة مرئية. مرة أخرى، تعمل السُّلطة المحتجبة أو سلطة وضع جدول الأعمال في المجالين الخاص والعام.

السُّلطة المحتجبة في المجال العام

نرى سلطة تحجب نفسها وتعمل في العلاقة بين القادة السياسيين والزعماء الدينيين، وبين الشركات الخاصة أو تجار المخدرات أو تجار

الأسلحة الذين تربطهم/ن بهم/ن صلات وثيقة لكن خفية. لذا فإن هؤلاء الفاعلين قادرين/قادرين على التأثير على القرارات السياسية والسياسات بدون أي سلطة أو حق مرئي في ممارسة هذا التأثير. كان هذا هو الحال عند اغتيال بيرتا كارسياس على يد مليشيات خاصة في هندوراس بالتواطؤ مع مصالح الحكومة والشركات الخاصة. وبالمثل، يمارس المانحون والمؤسسات سلطة خفية عندما يقررون ما هي أفضل الطرق للتغيير الاجتماعي، أو الشكل الذي يجب أن يبدو عليه التغيير الاجتماعي، فيتحكمون، بالتالي، بشكل غير مباشر في تحديد أولويات منظمات التغيير الاجتماعي وما تعمل عليه - وما لا يمكنها العمل عليه! وتتجلى السُّلطة الخفية أيضًا في كيفية تخصيص الأموال في الميزانيات الوطنية، ليس فقط فيما شرعته القوانين، لكن فيما سكّنت عنه أيضًا. وحتى وقت قريب اعتبر العنف المنزلي "مسألة خاصة"، لا يعاقب عليه أي قانون؛ ولم تكن هناك قوانين لمعاقبة المذنبين بالتحرش الجنسي في مكان العمل. وكانت قوانين العنف الجنسي مثل الاغتصاب تتطلب من الضحية إثبات الجريمة، وليس من المتهم إثبات براءته.

السُّلطة المحتجبة في العالم الخاص

نرى سلطة خفية تشتغل على كيفية إعادة إنتاج التمييز بين الجنسين وكذلك التحيزات الأخرى وفرضها داخل العائلات والعشائر، حتى لو كانت القوانين الوطنية تحظر ذلك بمختلف الطرق. وتقوم النساء، في المنزل على سبيل المثال، بتعليم أبنائهن وبناتهن المعايير الاجتماعية المبنية على أساس النوع - كيف يجب أن تتصرف "الفتاة الطيبة"، ودفع الأولاد ليكونوا أقوياء وشجعان، والتحكم في حركات وملابس البنات بصرامة بينما يمكن للأبناء التجول بحرية، وإعطاء الأبناء الذكور طعاماً ورعاية صحية أفضل وما إلى ذلك. هذه هي السُّلطة الخفية للعرف الاجتماعي. وتظهر أيضاً في كيفية تمتع النساء اللائي قمن بحماية سلطة وامتيازات رجال الأسرة، بسلطة ونفوذ أكبر في قرارات الأسرة من وراء ستار، بدون الحاجة إلى سلطة رسمية. وتقدم لنا المسلسلات الشعبية على التلفزيون لمحات واضحة عن هذا النوع من السُّلطة غير المباشرة وسط العائلات. تعد السُّلطة الخفية، من نواح عديدة، الأكثر إشكالية بين جميع وجوه السُّلطة - على وجه التحديد لأنها غير مرئية - إلى أن نعرف كيف نبحث عنها وأين

نجدها! ولهذا السبب، غالباً ما يكون تحدي ومواجهة السُّلطة الخفية أصعب من تحدي أشكال السُّلطة الأخرى. السُّلطة الخفية هي القدرة على تشكيل الطريقة التي يفكر بها الناس ويشعرون بها تجاه أنفسهم (صورة الذات وتقدير الناس لذواتهم) إنها السُّلطة التي تخلق المواقف الاجتماعيّة والتحيزات، والطريقة التي تتأثر بها رغباتنا واحتياجاتنا، ربما تكون الأيديولوجيا هي الشكل الأقوى والأكثر شمولية للسُّلطة الخفية - لأن الأيديولوجيا تعني مجموعة المعتقدات والأفكار والمعايير التي تؤطر ما نعتقد أنه صواب وما هو خطأ، "طبيعي" و"غير طبيعي"، "عادي" و"غير عادي". والأيديولوجيا هي السُّلطة الخفية التي نتعلم من خلالها قبول الأنظمة الاجتماعيّة الظالمة والمشاركة فيها ودعمها وإدامتها، وحتى قبول استضعافنا. وخير مثال على ذلك هو أيديولوجيا تفوق الذكور (أو الأيديولوجيا الأبوية). هذا النظام، والأيديولوجيا الداعمة له، لا يستمران كثيراً لأن الرجال يفرضونهما، بل لأن النساء نشأن منذ طفولتهن المبكرة على قبولهما - وليس تحديهما - رغم أنهن من يعانين من التمييز وعدم المساواة التي يخلقانهما. وتصبح النساء، في الواقع، جنديات مخلصات للنظام الأبوي، ويدعمنه بقوة بحيث لن يضطر الرجال إلى ذلك.

وايديولوجيات العرق (القائلة إن الأشخاص ذوي البشرة الفاتحة يتفوقون على الأشخاص ذوي البشرة الداكنة)، ومعيار الميل الجنسي (أن الانجذاب إلى الجنس الآخر هو فقط الانجذاب "العادي" أو "الطبيعي")، والطائفة (تفوق بعض الطوائف على الأخرى) هي أيضاً أمثلة للسلطة الخفية بسبب الطريقة التي تشكل بها إحساس الناس بذواتهن/م، ومواقفهن/م، وتحيزاتهن/م. ومع ذلك، لا نرى الأيديولوجيا تعمل، في معظم الأوقات، بأي طريقة مرئية - وتلك هي قوتها الخفية!

تعد صناعات الإعلام والتسويق والإعلان أمثلة جيدة على السلطة الخفية. وتمارس وسائل الإعلام الإخبارية باستمرار سلطة خفية من خلال اتخاذ خيارات بشأن القضايا التي يجب تسليط الضوء عليها وما يجب تجاهله، فتخبرنا ما هي أهم قضايا اليوم. وما تتجاهله ولا تغطيه مهم أيضاً. لكنها تشكل إحساسنا بالأولويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من خلال إخفاء بعض القضايا وإبراز البعض الآخر، فتؤثر باستمرار على إدراكنا لما هو مهم وما هو غير مهم، بدون أن نعي بذلك. وتعمل صناعة الإعلان بطريقة مماثلة.

فالإعلانات الملونة والألحان الجذابة والصور التي تروج لمنتجات متنوعة، تشكل رغباتنا بمهارة وتخلق معايير جديدة حول ما هو جيد أو ساحر أو سيء أو سلبي. ونتعرض للتلاعب بنا كل يوم، بدون أن ندرك ذلك، كي نرغب في أن نكون أنحف، وذوي بشرة أفتح، وأن نبذو مثل تلك الموديل أو أن نرتدي هذا الفستان، أو نشترى ذلك الحذاء، هذا الكريم، أو ذاك الهاتف، وتلك الأداة. وتعمل المسلسلات التلفزيونية بنفس الطريقة - فهي تشكل إحساسنا بما هو طبيعي، كما تشكل قيمنا، ولغتنا، ولباسنا، وسلوكنا، بدون أن ندرك ذلك أبداً. وهذه سلطة خفية!

ماذا يعدّ فهم الوجوه المُخْتَلِفَة للقوة أمراً مهماً؟ لأننا في سعينا إلى التغيير الاجتماعي أو العمل في مجال حقوق المرأة، غالباً ما نركز على السُّلْطَة الظاهرة - مثل تغيير قانون، وتولي النساء مناصب سياسية، ومحاكمة شخص ارتكب عملاً عنيفاً. لكننا ننظر بدرجة أقل إلى السلطات الخفية أو المحجوبة التي تعمل في تلك الوضعية، وغالباً ما يكون تأثيرها أكبر. وإذا أردنا إحداث تغيير دائم في هياكل السُّلْطَة - أو تفكيكها بالكامل - لا يمكننا أن نفلح في ذلك سوى من خلال

الكشف عن السلطات الخفية والمحجوبة، التي تثبت هذه الهياكل، وإسقاطها.

كيف يتم التعبير عن السلّطة؟

نحن نعتقد أن السلّطة شيء يجب تغييره في الخارج، في المُجْتَمَع أو الجماعة الأكبر، وليس داخل أنفسنا.

5 تعبيرات عن السلّطة

السلّطة على الغير

السلّطة/القدرة على

السلّطة داخل الذات

السلّطة مع الآخرين

السلّطة تحت وطأة الأذى

السلّطة على الغير power over هي ممارسة السلّطة التي نألفها أكثر من غيرها ويمكننا التعرف عليها بسهولة. وغالباً ما يمارسها

الأشخاص والمؤسسات التي تملك سلطة ظاهرة: الآباء والأمهات
والزعماء الدينيون والسياسيون. وتتعلق ممارسة هذه السُّلطة بمن
يقرر ماذا. ويُعبّر عنها بالسيطرة المباشرة أو غير المباشرة على
الآخرين، وتحديد فرصهم وخياراتهم وأفعالهم. وعادة ما يدور هذا
النوع من السُّلطة حول الهيمنة. وهنا بعض الأمثلة. قرر مботو أنه
سيرسل ابنه، وليس ابنته، إلى المدرسة الثانوية، لأنه لا يمكنه سوى
إرسال أحد الطفلين. وأمر الكاهن أتباعه بعدم الاحتفال بعيد
الحصاد لأنه لم يرد في كتابهم المقدس. طلبت يانا من ابنتها غسل
الملابس بدلاً من اللعب مع أصدقائها. قرر رئيس الولايات المتحدة
غزو العراق، وقرر رئيس آخر عدم السماح لمواطنين من دول معينة
بدخول الولايات المتحدة.

سجل/ي هنا تجربتك بشأن ممارسة السُّلطة على الغير

.....

.....

.....

تتعلق ممارسة السُّلطة/ القدرة على power to بقدرتنا على التصرف لصالح أنفسنا أو لصالح آخرين نحو تحقيق أي نوع من الأهداف الشخصية أو الجماعية أو السياسية. إنها ما يسمى أحياناً بالقدرة على القيام بالأشياء بدون السعي لإذن أو موافقة شخص آخر. وهنا بعض الأمثلة: قرّرت ناغاما، وهي عاملة من طائفة داليت لا تملك أرضاً، أنها لن تلتزم من الآن فصاعداً بعبادة الركوع أمام مالك الأرض عند مروره؛ وكانت تأمل أن تفعل نساء داليت الأخريات الشيء نفسه في القريب. قرّرت نسيفو إنشاء كشك خارج المدرسة الثانوية وبيع الآيس كريم والحلي لكسب المال لكي تتمكن من الالتحاق بالكلية.

سجل/ي هنا تجربتك بشأن ممارسة السُّلطة/ القدرة على

.....

.....

.....

وصفنا السُّلطة داخل الذات power within في فصل سابق. ومع ذلك، من المفيد أن نلاحظ أن السُّلطة داخل الشخص يمكن أن ترتبط

كذلك بمفهوم الموارد غير الملموسة. ويمكن أن تسهم المعرفة، والوصول إلى المعلومات، والعلاقات، والشبكات الاجتماعية في زيادة القوة الكامنة داخل ذواتنا.

سجل/ي هنا تجربتك بشأن ممارسة السلطة داخل الذات

.....

.....

.....

.....

تتعلق السلطة مع الآخرين بالقدرة الجماعية. وهي القدرة على مواجهة الظلم وتحديه من خلال العثور على الآخرين الذين/اللاقي يواجهون/ون الظلم ذاته، أو يهتمون بنفس القضية، وحشدهن/م والتكاتف معهن/م. وفي الواقع هذه القدرة هي أقوى تعبير عن السلطة، وقد نجحت في القضاء على بعض أكبر ضروب الضيم في العالم - مثل العبودية - بل أطاحت بديكتاتوريات وأنظمة جبارة. هاك بعض الأمثلة: انتفاضة مئات الآلاف من المواطنين العاديين التي أسقطت زعماء وحكومات ممقوتة في دول مثل مصر

ونيبال والبرازيل وكثير غيرها؛ وتعتمد عدد قليل من النساء كبيرات السن في مانيبور خلع ملابسهن والاحتجاج بصمت أمام قوات الأمن التي اغتصبت وشوهت إحدى نساء مجتمعهن؛ وتنظيم المجموعات النسائية لاحتجاجات من مستوى القرية إلى مستوى الأمم المتحدة إثر مقتل الناشطة البيئية بيرتا كارسيراس بسبب احتجاجها على عمليات التعدين في هندوراس، مما اضطر شركة التعدين للانسحاب من المنطقة؛ ومسيرات ملايين النساء ورقصهن في فبراير من كل عام، كجزء من حملة "انتفاضة المليار"، التي تهدف إلى رفع الوعي بالعنف ضد المرأة.

مع ذلك، من المهم أن نتذكر أن هذه القدرة استخدمت أيضاً لإضعاف الشعوب. فهي السلطة التي نراها تنشط عندما تتكاتف الشركات الخاصة والسياسيون ليعملوا معاً من أجل تغيير السياسات الحكومية بهدف زيادة الأرباح الخاصة وحشو جيوب السياسيين. وهذا نوع آخر من السلطة الجماعية لا يكثرث للعدالة أو المساواة.

سجل/ي هنا تجربتك بشأن ممارسة سلطة الجماعة

.....

.....

السُّلْطَة تحت وطأة الأذى power under تعبير معقد للغاية، لكنه تجلي للسُّلْطَة، نجده على نطاق واسع، خاصّة عند النساء والمنظمات والحركات النسوية. ويفسر مصطلح السُّلْطَة تحت وطأة الأذى؛ لماذا يصبح الأشخاص الذين عانوا من التمييز وسوء المعاملة والقمع والصدمات غالباً مرتكبو إساءة وسلطويون ومضطهدون لغيرهم عندما يكتسبون القدرة على ذلك (خاصة السُّلْطَة على الغير power over).

ما هي السُّلْطَة تحت وطأة الأذى؟

طور المحلل النفسي ستيفن واينمان هذا المفهوم بعد عمله مع أشخاص تعرضوا للصدمات النفسية جراء الحرب والنزوح وسوء المعاملة والعنف. ويقول إن السُّلْطَة تحت وطأة الأذى تنبثق من "الغضب العاجز" - الغضب وقلة الحيلة اللذين لم يجدا الشفاء، حتى بعد الافلات من الوضع الذي أوجدهما. وتجد الناجيات/ون من الصدمات والعنف صعوبة في دواخلهن في التخلص من تعودّ الشعور بأنهن/م ضحايا. ويستمر هذا الوضع حتى عندما

يخرجون/ون من الوضع القمعي، وحتى بعد أن يكتسبون/وا السُّلطة (عندما يصبحون/ون قادة لمنظمات أو أرباب أسر). إنهن/م يخشون باستمرار أن يصبحن/وا ضحايا مرة أخرى، ويعتقدون أن الطريقة الوحيدة لتجنب ذلك هي من خلال السيطرة وقمع الآخرين/يات. ويواصلون كذلك استخدام الأنماط السلوكية التي ساعدتهن/م على النجاة فيما سبق: التخريب، والهدم، والإطراء الكذوب، والنميمة إلخ. ولا يستطيع الأشخاص الذين لا يعترفون/ون بما واجهن/وا من صدمات، أو لم يشفين/وا منها أو من الشعور بأنهن/م ضحايا، الاحتفاظ بالسُّلطة وممارستها بطرق صحية لا تهين أو تتلاعب بالآخرين. وهن/م لا يعرفن/ون سوى طريقتين لممارسة السُّلطة: ممارسة "السُّلطة على الغير" power over "أو "السُّلطة تحت وطأة الأذى" power under. يعتبر تأثير ممارسات "السُّلطة تحت وطأة الأذى" في سياق التغيير الاجتماعي أكثر خطورة. إذ يحاول العديد من الأشخاص الواقعات/ين في فخاخ هذه الممارسات بناء منظمات وحركات لمواجهة الظلم الذي عانين/وا منه والتغلب عليه. لكن بدون معالجة فعلية تساعدن/م على معرفة غضبهن/م العاجز والتعامل معه، فيستمررن/ون بدون وعي في ممارسة "السُّلطة تحت

وطأة الأذى". ونظراً إلى أن غالبية النساء واجهن الكثير من التمييز طوال حياتهن، واضطر عدد كبير منهن كذلك إلى التعامل مع سوء المعاملة والعنف الجسيم، فليس من المستغرب أن نجد أن السُّلطة تحت وطأة الأذى ممارسة شائعة إلى حد ما في الطريقة التي تعبر بها النساء عن السُّلطة. لذلك عندما تنشئ النساء منظمات وحركات للتصدي للاضطهاد القائم على النوع الاجتماعي، ينتهي الأمر بهن إلى إنتاج الكثير من ممارسات "السُّلطة تحت وطأة الأذى" وخرق أهداف رسالتهم من خلال طريقة استخدامهن وإساءة استخدامهن لسلطتهن.

تجربة زنجبار

قصة غضب عاجز لم يجد حظاً من الشفاء.

من الأمثلة الممتازة على القدرة التدميرية لـ "السُّلطة تحت وطأة الأذى" ما تسميه العديد من النسويات الأفريقيات الأكبر سناً "تجربة زنجبار" وهو لقاء بدأ مبشراً ثم تحول إلى كابوس من الألم والغضب والغيرة والاتهامات المتبادلة. التقت مجموعة من النسويات في عام 2003 في زنجبار من أجل التخطيط للكونجرس النسوي الأفريقي.

التقت 35 منهن في يوم اثنين، وسرعان ما اكتشفن أن افتراضات كل واحدة منهن بشأن ما طرحته الأخريات من سياسة فردية وتنظيمية إجمالاً لم تصمد. بعبارة أخرى، كان هناك الكثير من الغضب العاجز في تلك العملية. وبحلول يوم الخميس، ساد النهش والعداء والدموع والمرارة والفوضى. لم ينعقد الكونجرس، وتعلمت المشاركات الدرس الصعب وهو أن النظرية والتطبيق لا يسيران سويًا دائماً. على الجانب الإيجابي، قادت تجربة زنجبار القائدات النسويات الأفريقيات إلى إدراك أن إحدى الخطوات الأولى للقيادة النسوية الفعّالة، هي الاعتراف بأننا نأتي إلى الحركة محملين بتواريخ وتجارب مُختلفة. ونحتاج، من ثم، إلى وضع قواعد أساسية للاشتباك (للعمل الجماعي) تحكم كيفية تعاملنا مع بعضنا البعض، وكيفية التعامل مع ميولنا التدميرية. كان ميثاق المبادئ النسوية للنسويات الأفارقة، وهو أول مدونة لقواعد السلوك في العالم النسوي، هبة جبارة حلت بفضل كارثة زنجبار.

إحدى المشكلات التي نواجهها كناشطات وداعيات للعدالة الاجتماعيّة أو المساواة بين الجنسين هي اعتقادنا أن السّلطة شيء

يجب تغييره في الخارج، في المُجْتَمَع الأكبر أو المُجْتَمَع المحلي - وليس داخل أنفسنا. ونادراً ما نفكر في استخدامنا وإساءة استخدامنا لِلسُّلْطَة؛ أو نميل إلى اعتبار أنفسنا قديسات/قديسين ومنقذات/ين يسمون فوق سوء استخدام السُّلْطَة. لكن يجب أن نبدأ بأنفسنا، لكي نكون صانعات/ي تغيير حقيقيات/يين في العالم. وعلينا أن نتذكر نصيحة المهاتما غاندي: "كن أنت التغيير الذي تسعى إليه في العالم". لا يمكننا أن نطلب من الآخرين التفكير والتصرف بشكل مختلف إذا لم نكن مستعدات/ين للقيام بذلك. ولا يمكننا أن نطلب من الأخريات/ين تغيير مواقفهن/م ومعتقداتهن/م وسلوكهن/م إذا لم نكن مستعدات/ين لتغيير أنفسنا. ويمكننا فقط من خلال تحليل علاقتنا بالسُّلْطَة ومعها إطلاق العنان لـ "... [للقوة] لنصبح [النساء والرجال] اللاتي/الذين لم نكنهن/م بعد". أي أشخاص قادرين/ات على العيش بإنصاف. لذا اغتنمي هذه الفرصة لتبدأ/ئي التأمّل في علاقتك مع السُّلْطَة وطرق استخدامها. وستساعدك التمارين التالية على:

- التواصل مع تجاربك المبكرة مع السُّلْطَة وكيف أثرت في علاقتك بها اليوم

- تحليل ممارستك للسلطة وما قد تحتاجين إلى تغييره

لست مضطرة إلى مشاركة نتائج هذا التأمل مع أي شخص. لكن يجب أن تساعدك النتائج في البدء في معالجة الأشياء التي تحتاجين إلى تغييرها داخل نفسك.

تحليل تاريخي الشخصي مع السلطة

كيف تتشكل علاقتي بالسلطة

الخطوة الأولى فكري فيما مضى!

- حاولي أن تتذكري المرة الأولى التي وعيت فيها بالسلطة بين الناس، كأن يملك بعض الناس سلطة أكبر من الآخرين. قد تكون الحادثة أو التجربة وقعت في المنزل أو في المدرسة أو في الملعب أو في أي مكان آخر. وقد تكون تجربة مع السلطة على الغير (السلطة المباشرة)، أو السلطة غير المباشرة أو الخفية، أو السلطة غير المرئية (سلطة وضع جدول الأعمال). حاولي أن تتذكري ما جعلك تدركين على وجه التحديد أن السلطة كانت حاضرة في ذلك التفاعل.

- الآن حاول/ي أن تتذكر/ي أول مرة أدركت فيها سلطتك. هل كانت سلطة على الغير، أم سلطة خفية، أم حتى سلطة تحت وطأة الأذى؟ حاول/ي أن تتذكر/ي ما جعلك تدرك/ين على وجه التحديد سلطتك في ذلك التفاعل.

الخطوة الثانية

- بالنظر إلى ما مضى، أي موقع من المواقع التالية في معادلات السُّلطة الاجتماعيّة جربته؟ (اختار/ي بقدر ما ينطبق عليك). أي موقع وجدت نفسك فيه في أغلب الأحيان؟
- الخضوع. أو كونك موضوعاً للسيطرة (ثمة شخص يمارس السُّلطة أو السيطرة عليك). كيف كان شعورك؟
- التكافؤ. عندما كنت تعمل/ين مع الآخرين، تمارس/ين سلطة أو سيطرة مشتركة. كيف كان شعورك؟
- السيطرة. عندما تمارس/ين (بشكل فردي أو مع آخرين) سلطة على الآخرين. كيف كان شعورك؟

أخرى. معادلة للسلطة خلاف ما ورد أعلاه. يَرجى توضيح موقعك بالتحديد في المعادلة، مقارنة بالآخرين، وصف/ي كيف كان شعورك.

- في أي واحد من بين هذه المواقع المُختلِفة من السلّطة تشعر/ين بالراحة أكثر؟ في أيها تشعرين أنك تعرفين بشكل أفضل ما يجب عليك فعله، وما هو متوقع منك، وكيفية إدارة الموقف بشكل جيد؟

الخطوة الثالثة

- كيف تعتقد/ين أن هذه التجارب أثرت في طريقة تفاعلك مع سلطة الآخرين، أولئك الذين يشغلون مواقع السلّطة في مؤسستك أو حياتك الشخصية؟
- كيف تعتقد/ين أن هذه التجارب أثرت على طريقة استخدامك للسلّطة في حياتك الخاصة أو في حياتك التنظيمية؟
- اسأل/ي نفسك: هل أعاني من الغضب العاجز؟ هل أمارس "السلّطة تحت وطأة الأذى" (جر الآخرين إلى أسفل، أخاف دائماً

إن لم أهيمن، فسوف يهيمن عليّ، وأشعر دائماً بالغضب والخوف من أن أقع تحت السيطرة؟)

- إذا كنت تشعرين بالحاجة إلى تغيير طريقتك في ممارسة السُّلطة، ما هو نوع الدعم أو التوجيه أو العملية التي ستحتاجينها لمساعدتك لتحقيق ذلك.

كيف تعمل السُّلطة؟

سنقوم في هذا القسم الختامي، بجمع الكثير من المفاهيم التي تعلّمناها حتى الآن في إطار موحد يساعدنا على فهم كيف تُبنى هياكل السُّلطة وتشتغل وتستمر. سنستخدم سلسلة من الرسومات التي لا تحاول توضيح كيف بُنيت هياكل السُّلطة فحسب، بل الأهم من ذلك، توضيح الآليات التي من خلالها تستمر هذه الهياكل وتحافظ على نفسها، حتى عندما تكون هياكل غير عادلة وتجاوفي المساواة. كذلك ستساعدنا هذه الرسومات على فهم سبب قبول حتى من يتعرضون للقمع والاستغلال والتمييز في هيكل السُّلطة المعنى لذلك الهيكل، والمشاركة فيه، بل دعمه في بعض الأحيان.

دعونا نبدأ بفهم كيف تُبنى هياكل السُّلطة في المقام الأول. وكما رأينا فيما تقدم، تنشأ هياكل السُّلطة عندما يكتسب بعض الأفراد أو مجموعات من الأشخاص فرصة نفاذ أكبر إلى أنواع مُختلفة من الموارد والتحكم فيها، ولكن بشكل خاص الموارد الماديّة (من أرض ومال) والموارد المعرفية. ومن ثم تُستخدم هذه السُّلطة للتحكم في الموارد البشريّة مثل عمل الأشخاص الذين يجب أن يعملوا لصالح

من يملكون السُّلطة من أجل كسب العيش لأنهم لا يملكون أرضاً أو موارد مالية خاصة بهم. ويكون حتى الرجال الفقراء في هياكل السُّلطة القائمة على الجنس (أو ما يسمى بالسُّلطة الأبوية)، القابعين في أسفل هيكل السُّلطة، أقوى من النساء الفقيرات، لأنهم يسيطرون على أجساد النساء، وقدرتهن الجنسية والإنجابية وعملهن. لذلك لا تقتصر هذه السيطرة على الرجال الأثرياء الذين يمتلكون الأرض والمال، فالرجال الذين لا يملكون أرضاً والفقراء قادرون على التحكم في مورد بشري واحد هو أجساد النساء وعملهن.

يبنى من يتحكمون في الموارد الماديّة والمعرفية والبشريّة، بمرور الوقت، شبكات نفوذهم الخاصّة ويكتسبون السيطرة على موارد غير ملموسة. ومع ذلك، فإن الموارد غير الملموسة يصنعها أيضاً أولئك القابعين/ات في موقع أدنى من هيكل السُّلطة، كي ينجوا بحيواتهن/م في الأوقات الصعبة أو يبنوا قدرتهن/م على المقاومة، إذ لا يملكن/ون سوى القليل من الموارد الأخرى للنجاة والمقاومة. ويعرض الرسم الإيضاحي كيف تبدو بنية السُّلطة في هذه المرحلة من تطورها.

الحفاظ على هيكلٍ للسُّلطة غير عادل

ليس لهيكل سلطة تتربع على قمته نخب قليلة ذات

امتيازات أن يأمل في النجاة

إذا انتفضت كتلة كبيرة من المهمشين لتطيح به.

كيف يضمن من يعنيه الأمر ألا يحدث ذلك؟ كيف يضمنون أن الناس في قاع هيكل السُّلطة يدعمون/ون أيضًا - أو على الأقل يقبلون/ون - هذا الهيكل؟ وهكذا أصبح الحفاظ على هذا الهيكل، وهذه السيطرة غير المتكافئة على الناس والمعرفة والموارد الماديّة، أولوية - خاصّة إبقاء الأقل حظًا في موقعهن/هم ذاته، ومنعهن/م من تحدي الهيكل وإسقاطه. وقد تحقق ذلك بشكل عام من خلال وضع مجموعة من الآليات، ذكية وفعّالة للغاية، لحماية الهيكل واستدامته! دعونا نرى ما هي تلك الآليات.

الأيدولوجيا

الأيدولوجيا هي الآلية الأولى، والأكثر أهمية، في الحفاظ على هياكل السُّلطة. وتتعلّق الأيدولوجيا ببناء نظرية أو مجموعة من الأفكار تبرر هيكل السُّلطة، مهما كان غير عادل أو غير متكافئ. وقد شهدنا، على مرّ القرون، صياغة العديد من الأيدولوجيات بهدف تبرير هياكل السُّلطة غير المتكافئة والظالمة:

- أيدولوجية النظام الأبوي، التي تذهب إلى أنّ الرجال مُتفوّقون على النساء، وأنّ الله قد قرّر ذلك (جاء آدم أولاً، ثم حواء)، أو الطبيعة (الرجال أكبر وأقوى)، أو الأدوار البيولوجية (تلد المرأة وعليها أن ترعى الأطفال) أو أن التطور صاغ الوضع على هذا النحو. ودورك في هيكل السُّلطة الأبوي هو القيام بواجبك الجنساني وعدم التشكيك في مجمل هيكل السُّلطة أو المظالم التي تواجهينها/ها داخل هذا الهيكل.

- إيدولوجية العرق التي تنسب الذكاء والقدرة الفائقة إلى البيض، وبالتالي حقهن/م في السيطرة على ذوي البشرة الداكنة؛

وزعمت تلك الأيديولوجية أن الأجناس ذات البشرة الداكنة ستستفيد من الخضوع لحكم الرجل الأبيض.

- أيديولوجية الطائفة caste التي تدّعي أن انتماءك الطائفي في هذه الحياة هو نتيجة خطايا حياتك الماضية، وأنه لا يمكنك الانتقال إلى طائفة أعلى في الحياة التالية إلا من خلال أداء واجبك الطائفي بهدوء والامتثال لجميع القواعد الطائفية في هذه الحياة.

دُوِّنت بعض هذه الأيديولوجيات بالفعل. إذ كتب مانو، العالم البراهمي، قواعد الطائفة والنوع (من بين أشياء أخرى) في كتابه قوانين مانو Manu Smriti أو دارهار ماشاسترا في وقت مبكر من القرن الثاني قبل الميلاد. وكتب أدولف هتلر نظرياته بشأن التفوق العنصري في كتابه المُسمّى كفاحي، مما أدّى إلى المذابح ضد اليهود والغجر وغيرهم من الأشخاص "الأدنى" عرقاً في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945). ولا يتعلّم معظمنا الأيديولوجيا من كتاب أو عبر أي تعليم رسمي، إنما من القواعد والأفكار التي نسمعها ونراها تُمارَس في عائلاتنا ومنازلنا ومُجتمعاتنا. ونتعلّم تبنّي هوية

جنسانية بناءً على أعضائنا الجنسية، كما نُلقن انتماءنا الطبقي أو الطائفي أو هويتنا الإثنية من كبار العائلة أو من المعلمين وغيرهن/م. ونصبح مدرّبين أيديولوجياً منذ يفاعتنا، قبل أن نتمكّن من طرح الأسئلة أو تحدّي هذه الأفكار؛ لذا فإننا نستبطنها بدون إدراك واع.

الأيديولوجيا أقوى أداة أنشئت لحماية هيكل السّلطة، لأنها الآلية التي يتم من خلالها إقناع الجميع بالمشاركة في هذا النظام القمعي، بدلاً من إسقاطه - إذ يتم تعليمهن/م قبول مكانهن/م في المُجتمَع. والأهم من ذلك، يحوّل التكييف الأيديولوجي الأشخاص الأكثر اضطهاداً في هيكل السّلطة - من نساء، أو داليت، أو ملونين، أو فقراء - إلى حماة له. ولا تقوم النساء فقط بتعليم قواعد النوع الاجتماعي لأبنائهن وبناتهن، وإمّا يضبطن أيضاً النساء الأخريات اللاتي يتحدّين تلك القواعد ويؤدبنهن. وتُكافأ النساء على القيام بذلك - إذ يكتسبن صوتاً وتأثيراً أكبر قليلاً في عائلاتهن لأنهن نساء "صالحات" يحمين امتيازات الذكور وييقين على النساء الأخريات في مكانهن. الأيديولوجيا، قبل كل شيء، هي سلاح قوي لأنها شكل من أشكال السّلطة غير المرئية - وفي معظم الأحيان، لا ندرك أن قبولنا للظلم إمّا يكمن في هذا الجذر المميت: تكييفنا أيديولوجياً ideological conditioning.

وضع المعايير والقواعد الاجتماعية

تتشكّل الدّعمة الثانية لهيكل السّلطة عندما تُترجم الأيديولوجية التي تبرره إلى ممارسات يومية من خلال وضع معايير وقواعد اجتماعية. وفي حالة المعايير الاجتماعية الجنسانية، هناك المئات من هذه المعايير - حول زِيّ المرأة، وطريقتها في التحدث، والمشي، وأين يجب أن تكون وأين يجب ألا تكون، ومن يمكنها ومن لا يمكنها التفاعل معه، وكيف تتصرف، وما العمل الذي ينبغي عليها القيام به إلخ. وتترجم هذه القواعد الأيديولوجية الأبوية، المتعلقة بمكانة المرأة في المُجتمَع وواجباتها ومسؤولياتها، إلى قواعد للسلوك ولتقسيم العمل والتنقل والمظهر، وما إلى ذلك. دعونا نأخذ مثال المعايير الاجتماعية حول "حياء" المرأة. في العديد من الثقافات، يُتوقع من "المرأة الطيبة" أن تتزيّا بزِيّ مُعَيّن، وأن تتجنّب الاتصال بالرجال (خاصّة الرجال الذين لا علاقة لها بهم)، وألاّ ترد على زوجها أو كبار السن، وأن تؤدّي المهام المسندة لها بدون شكوى.

هذه القواعد هي في الواقع تعبير عن الأيديولوجية الأبوية التي تملي على المرأة أن تكون خاضعة وتتجنّب لفت انتباه الجنس الآخر. لكن المعايير الاجتماعية ليست هي نفسها في كل الثقافات أو لجميع النساء - بسبب الطبيعة المتداخلة لهياكل السّلطة الأبوية مع هياكل السّلطة الاجتماعية الأخرى. لذا، لا تخضع نساء الطبقة العاملة

لنفس القواعد التي تخضع لها نساء الطبقة الوسطى أو النساء الثريات. ولا يمكن أن تخضع النساء الفقيرات اللواتي يجب أن يعملن من أجل بقاء الأسرة، واللاتي يجب أن يكون عملهن متاحاً لفئات أخرى (لزرع المحاصيل أو حصادها، والقيام بالأعمال المنزلية في منازل الأثرياء، والعمل في مصانع الملابس) لنفس المعايير الاجتماعية حول التنقل وتقييد الحركة، على سبيل المثال، شأن نساء الطبقة الوسطى.

تُمثِّل المعايير الاجتماعية حول تنقل المرأة سياقاً جيداً يمكن من خلاله فهم الروابط بين هياكل السلطة والأيدولوجيات والمعايير. وتتحكَّم هياكل السلطة الأبوية في أجساد النساء جزئياً من خلال التحكم في تحركاتهن وملابسهن. إذ ليس من المفترض أن تتحرك المرأة بمفردها أو أن ترتدي ملابس كاشفة، خاصة في الليل، أو أن تذهب إلى الأماكن العامة بمفردها. وإذا فعلت المرأة ذلك، سوف تُعدَّ "طريدة" للتحرش الجنسي أو الاغتصاب. وإذا أصبحت ضحية لهذه الجرائم، فإن ردَّ الفعل العام هو إلقاء اللوم أولاً على المرأة نفسها؛ لأنها ما كان ينبغي لها أن تذهب هناك، في ذلك الوقت، بمفردها، أو ترتدي تلك الملابس؛ وعلى رجال عائلتها ثانياً لفشلهم في

"السيطرة" عليها؛ وعلى الأم أو غيرها من نساء الأسرة ثالثاً لعدم
"تعليمها" القواعد وكيفية التصرف "بشكل لائق".

فكّري في معيار اجتماعي مُستخدَم في حياتك اليومية (عادةً ما يتم
التعبير عن المعايير على نحو "لا ينبغي للمرأة..."، أو "يجب أن يكون
الأولاد..."). انظري إذا كان بإمكانك تحديد الأيديولوجية الكامنة وراء
هذا المعيار، وما هي بنية السّلطة التي تهدف القاعدة إلى حمايتها.

إحدى القواعد الاجتماعيّة المُستخدمة في حياتي هي:

الأيديولوجية الكامنة وراء هذا المعيار الاجتماعي هي:

هياكل السّلطة التي تساعد هذه القاعدة على حمايتها هي:

هناك معايير اجتماعيّة قويّة، في بلدان مثل الهند،

تحكم تنقّل النساء والرجال المُنتَمين إلى مجموعات طائفية معينة.

إذ ليس من المُفترض أن يدخلن/لوا المعبّد،

أو يستخدمن/وا آبار أو صُنابير معيّنة للمياه

"خُصّصت" للطوائف "العُليا".

وكما ذكرنا سابقًا، ليس من المفترض أن يجلس أطفال طائفة داليت داخل الفصل مع أطفال الطوائف الأخرى.

كل هذه المعايير هي تعبيرات عن أيديولوجية الطائفة، وقد صيغت من أجل حماية الهيكل الخاص بسلطة الطوائف.

مجموعة المؤسسات

الركيزة الثالثة التي تقوم عليها هياكل سلطة النوع الاجتماعي وهياكل السلطة الاجتماعية والاقتصادية الأخرى هي مجموعة المؤسسات التي تعلّم وتعزّز المعايير والقواعد الاجتماعية والأيديولوجيات التي تقف وراءها. إذا فكرت/ي في المؤسسات، ستدرك/ين أنك تعلمت/ي القواعد الاجتماعية في عائلتك لأول مرة، ربما من والدتك. وبالتالي، تُعتبر الأسرة مؤسسة قوية تلعب دوراً حاسماً في تعزيز الأيديولوجيات والمعايير الاجتماعية السائدة، من خلال تعليمها للأطفال بطرق صريحة وأخرى خفية. نتعلّم داخل الأسرة قواعد النوع، والطائفة، والطبقة، والإثنية، والمُجتمع وما إلى ذلك. والدين مؤسسة أخرى تعزّز العديد من هياكل السلطة وتعبّر عن العديد من الأيديولوجيات التي تبرّر هذه الهياكل من خلال

معتقداتها الخاصة. وتعزز جميع الأديان تقريباً، على سبيل المثال، الأفكار حول تفوق الذكور ودونية الإناث - خلق الله الرجل ليسود العالم ويدير شؤونه، وُخلقت المرأة لخدمة الرجل ولتكون "عوناً له".

يُعزّز السوق كذلك الأيديولوجية الأبوية. ونعني بالسوق مجموعة المؤسسات الاقتصادية التي تحكم الحياة الاقتصادية لبلد ما، بما في ذلك البنوك والشركات العامة والخاصة والمؤسسات التجارية والمالية، وحتى سوق المزارعين المحلي حيث تُشترى البضائع وتُباع! ويعزز السوق القواعد الأيديولوجية بطرق صريحة وأخرى خفية، لا سيما الأيديولوجية الأبوية. ولم تكن المرأة في العديد من أنحاء من آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط على سبيل المثال، حتى قبل 20 عاماً فقط، تستطيع الحصول على قرض من البنك بدون موافقة الزوج أو الأب أو الأخ. ولا يمكن للمرأة في نيبال، مثلاً، أن تبدأ مشروعاً تجارياً باسمها؛ إذ يجب أن يكون مُسجلاً باسم الزوج أو الأب أو الأخ.

ولم تكن النساء يستطعن الحصول على وظائف معينة - مثل سائقة تاكسي أو سبابة أو ميكانيكية - لأنها كانت وظائف "للرجال". ولم

تُمنح النساء، بغض النظر عن مدى كفاءتهن، أدواراً قيادية رئيسية في الشركات الخاصة أو المؤسسات.

تعد المؤسسات التعليمية مكاناً مهماً آخر نستبطن فيه القواعد الأيديولوجية ونتعلّم كيفية الحفاظ على هياكل السّلطة الحالية. ولا يَسمح للفتيات في العديد من البلدان ممارسة أنواع مُعيّنة من الرياضات "الأولادية" حتى يومنا هذا. ووجدت الفتيات، إلى وقت قريب جداً، صعوبة في الحصول على قبول في الدورات المهنية أو مؤسسات التعليم التقني والعلمي (الطب، والهندسة، وعلوم الكمبيوتر، والبحث العلمي). وهناك العديد من الدراسات من جميع أنحاء العالم التي تُظهر أن الفتيات رغم أنهن أفضل أكاديمياً من الأولاد، بما في ذلك في مواد مثل الرياضيات والعلوم الفيزيائية، فإن أداءهن يبدأ في التدهور بعد سنّ مُعيّنة (عادةً بعد سن 12 أو 13) لأنّهنّ يشعرن في لاولعهن أن هذه "مواد ذكور" أو يجب ألا يجعلن الأولاد يبدون ضعفاء. ولم تتغيّر هذه الاتجاهات إلا في الآونة الأخيرة، لكن مع بعض المقاومة الأيديولوجية غير المتوقّعة.

أعداد الفتيات المؤهلات للقبول في كلية الطب أكثر من اللازم.

ماذا نفعل؟

كانت إحدى كليات الطب الخاصة الشهيرة في الهند تشجع النساء على الدوام على التقدم للقبول فيها. وكان امتحان الدخول لهذه الكلية صعب للغاية. لذلك كان يجتاز الامتحان حوالي 300 من بين ألف طالب، وتختار الكلية 100 فقط من هؤلاء الناجحين للقبول في صفها. بلغت نسبة الفتيات اللاتي أدين الامتحان وتأهلن للقبول 40% تقريباً من إجمالي المتأهلين في عام 2000. لكن بعد فترة وجيزة، ومع تحول الطب إلى خيار مهني مفضل جداً عند الفتيات اللاتي كنّ متفوقات في العلوم، بدأت العديد من الشابات في أداء امتحان القبول والتأهل لدخول الكلية. واجهت الكلية فجأة "معضلة"، فللمرة الأولى، كان أكثر من 60% ممن اجتازوا امتحان القبول من الشابات. فوقعت لجنة القبول في حيرة وارتباك. كيف انتهى بهم الأمر إلى نسبة مختلطة بين الجنسين من طلابهم؟ فتيات أكثر من الأولاد؟ لذلك على الرغم مما تقوله الإحصائيات، قبلوا 50% فقط من الفتيات واحتفظوا بالـ 50% المتبقية من المقاعد للطلاب الذكور. واعتبرت سلطات الكلية ما توصلت له حلاً "عادلاً".

أليس مثيراً للاهتمام أن الجسم الطلابي في الكلية كان يتكوّن، طوال معظم قرابة السبعين سنة من وجود الكلية، من 100%، ثم 90%، و80%، و70% من الشباب الذكور؟ ولم تُعتَبَر هذه النسبة "غير متوازنة". لماذا برز القلق فقط عندما أصبحت نسبة الطالبات تُهدّد بتجاوز نسبة الطلاب الرجال؟

الدولة

أخيراً، تُعتبر الدولة - التي تتألّف من الحكومة والقضاء وجهاز إنفاذ القانون والجهاز الإداري - مؤسسة رئيسية يتم من خلالها حماية هياكل السّلطة المهيمنة بشكلٍ غير مباشر، حيث يُعاد إنتاج الأيديولوجيات التي تحمي هذه الهياكل. لكن يمكن للدولة كذلك أن تكون مؤسسة تحاول تغيير هياكل السّلطة والأيديولوجيات القائمة. وهناك العديد من الأمثلة على كيف تقوم الدولة ووكالاتها بدعم هياكل السّلطة بشكل مباشر أو غير مباشر، لا سيما عندما يتعلّق الأمر بقواعد النوع الاجتماعي.

على سبيل المثال، يمكن رؤية التحييزات الجنسية وغيرها من التحييزات الاجتماعيّة بوضوح شديد في قوانين الأرض. وفي معظم

البلدان يتعين على ضحية الاغتصاب، على سبيل المثال، وليس المتهم، إثبات وقوع الجريمة. قواعد الإثبات والإجراءات في القضايا التي تنطوي على اعتداء جنسي ليست حساسة على الإطلاق للنوع الاجتماعي، وتنقل رسالة مفادها أنه إذا كنت وقحة بما يكفي للإبلاغ عن شيء منافي للشرف مثل الاغتصاب، فأنت تستحقين أن تُعاملي بلا رحمة. ويعيد هذا الفهم إنتاج المفاهيم الأبوية القائلة إن المرأة تتعرض للانتهاك الجنسي؛ لأنها لم تلتزم بقواعد اللباس أو التحركات أو السلوك السائدة، أو أن "رجال عائلتها" فشلوا في حماية "شرفها". ولكن حتى القوانين والسياسات الأخرى تعكس مدى عمق التحيزات الجنسانية. وحيثما أطلقت الحكومات برامج مثل "الأرض لمن لا يملكون أرضاً" أو "الأرض لمن يفلحها" أو غيرها من مخططات الرفاه الاجتماعي أو الاقتصادي، يكون "رَبّ الأسرة" الذكر حتماً من مُنح الأرض باسمه. وقد حدث ذلك حتى في المُجتمعات الأمومية حيث كانت النساء دائماً مالكات للأرض.

يتبنّى الأشخاص المسؤولون عن تنفيذ القوانين، في العديد من السياقات، حتى عندما تُسنّ قوانين تقدمية جداً لحماية حقوق المرأة

أو لتعزيز المساواة بين الجنسين، مواقف مُمعنة في أبويتها، أو يحشرون معتقداتهم/م وتحيزاتهن/م الشخصية بطرق تتعارض مع القيم الكامنة وراء تلك القوانين. وتواجه النساء اللواتي يتخذن إجراءات قانونية للحصول على الطلاق، أو محاربة العنف الأسري، أو ضرب الزوجة، أو مقاضاة الجناة الذين ارتكبوا اعتداءات جنسية، الغضب الأيديولوجي ممن يفترض أن يدافعوا عنهن. وغالباً ما يكون ضباط الشرطة والقضاة هم أول من يوبّخ المرأة "لفضحها" زوجها أو عائلتها من خلال الاستفادة من هذه القوانين. لا تعمل هذه المؤسسات بشكل منفصل عن بعضها في كثيرٍ من النواحي، وإما بالتواطؤ مع بعضها البعض؛ لإدامة المعتقدات والمعايير الأيديولوجية الأبوية أو الإقطاعية أو العنصرية. وتتآزر الحكومة والشركات الخاصة، على سبيل المثال، في بعض الأحيان لنزع ملكية السكان الأصليين لأراضيهم/م من أجل تعزيز عمليات التعدين عالية الأرباح، أو إنشاء محطات طاقة مكلفة. وتتواطأ الدولة والزعماء الدينيون، في العديد من البلدان، على تعزيز القوانين والسياسات التي تنتهك حقوق المرأة أو الأقليات الدينية أو الأقليات الجنسية. لذلك يجب أن ننظر إلى الركيزة المُسمّاة "المؤسسات" بوصفها قوة واحدة متماسكة

تعمل على دعم هيكل السُّلطة الحالي، على الرغم من وجود أفراد وعناصر داخل هذه المؤسسات تحاول دائماً تغيير اتجاهها وجعلها تتوافق مع أهداف العدالة الاجتماعيّة والجنسانية.

نعلم الآن أن الأيديولوجيا، وقد رأينا دورها، هي أداة ممعنة في القوة غرضها حماية الأبوية وغيرها من هياكل السُّلطة الاجتماعيّة والاقتصاديّة. وفي الواقع، هي أداة أكثر فاعلية من العنف، الذي هو فوضوي يتطلّب تأكيده باستمرار.

نعلم، من ناحية أخرى، أن أي بنية سلطة قمعية ستواجه دائماً تحدياً ومقاومة، على الأقل من قبل بعض الناس. وسيكون هناك دائماً من يرفض/ون قبول وضعهن/م في المُجتمَع، أو يرفض/ون الانصياع للمعايير والقواعد الاجتماعيّة التي أنشئت بهدف إبقائهن/م في مكانهن/م. لقد قاومت النساء، عبر التاريخ، القواعد الأبوية. وعلى مر التاريخ، قاومت الإثنيات والطبقات والطوائف والمجموعات الإثنية المضطهدة هياكل السُّلطة التي همّشتها. واليوم، نرى المزيد من المجموعات مثل المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية، وذوي الإعاقة، والمشتغلات بالجنس يقاومن/ون ما

يواجهنه/ونه من وصمة عار وتمييز وإقصاء. ويستخدم العنف عندما تبدأ هذه المقاومة في تهديد هياكل السُّلطة المهيمنة والنخب التي تسيطر عليها، وتفشل أسلحة الأيديولوجيا والقواعد الاجتماعيّة في السيطرة عليها، لردع هذا التهديد. وفي حالة النساء، في الواقع غالباً ما يكون ما يمنعنا من كسر القواعد الاجتماعيّة هو الخوف ببساطة من العنف أو التهديد به، وليس العنف الفعلي نفسه - الخوف من النبذ إذا ذهبنا بعيداً في تحدي الأشياء، والخوف من العنف أو التحرش إذا ارتدينا ملابس غير مناسبة، أو ذهبنا إلى أماكن معيّنة بمفردنا، أو في الليل.

لذلك من المهم إدراك أن العنف هو الملاذ الأخير لهيكل السُّلطة، وليس سلاحها الأساسي للسيطرة. والسيطرة على الموارد، والأيديولوجيا، والأعراف الاجتماعيّة، والمؤسسات التي تحمي مصالحها هي وسائل سيطرة أكثر انتشاراً وفاعليّة. ومن هنا تأتي أهمية إستراتيجياتنا، ومع ذلك، يعلم جميعنا أن العنف آخذ في التصاعد - ليس ضد النساء وحدهن، ولكن كذلك ضد الهويات الجنسانية والتوجهات الجنسية الأخرى التي يتم التمييز ضدها

(العابرون والعبارات، والمثليين والمثليات) - في كل مكان تقريباً في العالم. هناك مضايقات في الشوارع، واغتصاب، وعنف منزلي، وهجمات بالحمض، وعنف وسوء معاملة عبر الإنترنت، وأكثر من ذلك بكثير. لكننا نحتاج فهم هذا العنف المتزايد بوصفه ردّ فعل على المكاسب الهائلة التي حققتها النساء والأقليات الجنسية الأخرى في الخمسين إلى المئة سنة الماضية. لقد حصلنا على حقوق متساوية في القانون والتعليم والعمل والمشاركة السياسية. وقاومنا العديد من الأعراف والتقاليد التي انتهكت أجسادنا وقيدت حرياتنا (تشويه الأعضاء التناسلية للإناث، وزواج الطفلات، والزواج القسري، واضطهاد الأرامل، والاغتصاب والعنف المنزلي). ودخلت النساء سوق العمل بأعداد هائلة، وأصبحن مستقلات اقتصادياً، ويقاومن التمييز وسوء المعاملة والعنف بجميع أشكاله. الأهم من ذلك كله، تحدّينا مفاهيم الذكورة ومن هو "الرجل الحقيقي"، ومنتقد ونتحدّى ثقافة السيطرة الذكورية في تعابيرها التي لا تُعدّ ولا تُحصى. هذه جميعها تهديدات كبيرة لسلطة الذكور وامتيازهم (السلطة الأبوية). وتتعدّد أسباب العنف المتصاعد ضد المرأة والأقليات بين الجنسين، ولكنه يرجع جزئياً على الأقل إلى هذه المقاومة.

نقول من باب التلخيص، إن هياكل السُّلطة تنشأ في مستهلها بسبب أن بعض الناس يكتسبون سيطرة أكبر على الموارد الماديّة والبشريّة وغيرها. وقد تستخدم، في البداية، العنف لتأكيد سيطرتها، لكنها سرعان ما تنشئ آلية أكثر فاعليّة هي الأيديولوجيا التي تبرّر هذا التوزيع غير العادل للموارد والتفاوتات الناتجة عنه. وتُترجم هذه الأيديولوجيا إلى قواعد اجتماعيّة يتعلّمها الجميع منذ الطفولة في مؤسسات مثل الأسرة أو المدرسة أو الدين، بحيث يقبل حتى المظلومون والمضطهدون هيكل السُّلطة. وكذلك تُعزّز هذه الأعراف الاجتماعيّة، كذلك مؤسسات أخرى مثل السوق والدولة وأذرعها (النظام القانوني، والشرطة، والإدارة، إلخ). كما أن الخوف يجمّد معظم الناس في مكانهم/م. ولكن عندما يخالف بعض الأفراد أو الجماعات القواعد، على الرغم من هذه الآليات، أو يتحدّون/دين هيكل السُّلطة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، يُستخدم العنف مرة أخرى لصد المقاومة. لذلك عندما نتحدّث عن تحويل هياكل السُّلطة، يتعيّن علينا إنشاء إستراتيجيات تفهم وتستجيب لهذه الآليات المُعقّدة التي تُحافظ على هيكل السُّلطة الحالي. وهذا لا يعني معالجة السُّلطة الظاهرة فحسب، بل السُّلطة الخفية وغير

الظاهرة. وهذا لا يعني فقط العمل من أجل وصول الناس إلى الموارد والسيطرة عليها، بل مساعدتهم في تمييز دور الأيديولوجيا، واستبطانهم/م وقبولهم/م لها وللأعراف الاجتماعية التي تعبر الأيديولوجيا عن نفسها من خلالها. وهذه الإستراتيجيات تعني تحدي الطريقة التي تعيد بها جميع مؤسسات المجتمع الرئيسية - الأسرة، والدين، والسوق، والدولة - إنتاج تلك المعايير والحفاظ على سلطة الجماعات المهيمنة. يبدو هذا كثيرًا، ويبدو كأنه مهمة مستحيلة - لكنها ليست مهمة يمكن إنجازها فحسب، بل أنجزت بالفعل. مرارًا وتكرارًا، في جميع أنحاء العالم كانت هناك ولا تزال حركات قوية وذات سطوة، خاصة الحركات النسائية، التي هزت هياكل السلطة، خاصة السلطة الأبوية، وحقق مكاسب هائلة للنساء. وإذا لم تُنجز تلك الحركات هذه المهمة، ما كنت لتقري هذا الكتيب أو تفكرين في كيفية تمكين المُمهّشين أو من لا صوت لهم. إذا نظرت حولك، في مجتمعتك أو منطقتك أو بلدك، فستجدين العديد من القصص الملهمة لحركات أحدثت تغييرًا عميقًا.

سريلاتا باتليوالا

سريلاتا باتليوالا هي مديرة بناء المعرفة والقيادة النسوية في مُنظمة إنشاء مصادر للتمكين في العمل (CREA)، وهي مُنظمة نسوية لحقوق الإنسان مقرها نيودلهي، بالهند. ويركز عملها الحالي على بناء القدرات وتوجيه الناشطات الشابات في جنوب الكرة الأرضية، وعلى بناء معرفة جديدة مُستخلصة من ممارسات ورؤى الناشطات/النشطاء اللاتي/الذين يعملون مع الأشخاص الأكثر تهميشًا.

عملت سريلاتا قبل انضمامها إلى المنظمة، باحثة مشاركة في جمعية حقوق المرأة في التنمية (AWID)، وزميلة أبحاث المُجتمَع المدني في مركز هاوزر Hauser للمنظمات غير الربحية في جامعة هارفارد، ومسؤولة برنامج المُجتمَع المدني في مؤسسة فورد. وتتمتع سريلاتا بتاريخ من العمل القاعدي في الهند، حيث شاركت في بناء حركات نسائية واسعة النطاق حشدت ومكّنت الآلاف من النساء الريفيات والحضریات من أكثر المُجتمعات فقرًا في مومباي والمناطق المتخلفة من ولاية كارناتاكا في جنوب الهند.

نشرت سريلاتا العديد من الكتابات حول مجموعة من قضايا المرأة، واشتهرت بعملها في مجال تمكين المرأة. وأحدث منشوراتها عبارة عن

مجموعة من كتاباتها التي نشرت تحت عنوان "الاشتباك مع التمكين - رحلة فكرية وتجريبية". كما شغلت أيضًا عضوية عدد من مجالس إدارة المنظمات الدوليّة والهندية لحقوق الإنسان وحقوق المرأة والتنمية.

تعيش سريлата وتعمل من موقعين في بنغالور وكونور، في تلال نيلجيري في جنوب الهند. وتفتخر بكونها جدة نسوية نشطة لأحفادها الأربعة! وتحاول كذلك صياغة طرق جديدة في كونها قائدة نسوية أكبر سنًا: "جدة" في الحركة النسوية تدعم وتوجّه وتعلّم من القيادات النسائية الشابة والحركات الجديدة. وعندما لا تكون سريлата منغمكة في العمل، تخبز، وتخيّط، وتشاهد نيتفليكس.

مُنظَّمة إنشاء مصادر للتمكين في العمل (كريا)

تأسَّست مُنظَّمة إنشاء مصادر للتمكين في العمل (كريا) في عام 2000، وهي مُنظَّمة نسوية لحقوق الإنسان مقرها في نيودلهي، الهند. وهي واحدة من المنظمات الدوليَّة القليلة لحقوق المرأة التي تتخذ من الجنوب العالمي مقراً لها وتقودها نسويات جنوبيات، وتعمل على المستويات القاعدية والوطنية والإقليمية والدوليَّة.

وتتصوّر المُنظَّمة عالمًا أكثر عدلاً وسِلمًا، يعيش فيه الجميع بكرامة واحترام ومساواة. وتبني المنظمة القيادة النسوية، وتُعزِّز حقوق الإنسان للمرأة، وتوسِّع الحُرِّيَّات الجنسيَّة والإنجابيَّة لجميع الناس.



ظاهر ومحجوب وخفي

